NOVELLA

نـــــــوڤيلا

رقية هشـــــام طه

أحيانًا، لحظة عابرة تغير كل شيء، تاركة وراءها فقط الأسئلة

تمهيد

"بينما كان الزمن ينزلق ببطء، كانت هي تشاهد من بعيد، كما لو كانت جزءًا من الصورة التي لا يمكن لأحد تفسيرها."

هل تؤمن بأن بعض الأشياء تأتي إليك رغم أنك لم تطلبها؟ أن تكون هناك، في مكان ما في حياتك، ثم تختفي فجأة؟ ثم تعود وتترك وراءها شيئًا لا يمكنك التخلص منه؟

كنت أظن أنني أعرف كل شيء، حتى جاء ذلك اليوم. عندما رأيتها لأول مرة. لا، لم تكن هي أول من دخل في عالمي. بل أنا الذي دخلت في عالمها، حيث كان كل شيء غريبًا، بعيدًا عن أي شيء أتعرف عليه.

وفي تلك اللحظة، كنت أعلم أنني لم أعد أعيش في نفس العالم الذي عشته من قبل. كانت كما لو أنها جزء من لغز قديم، مخبأ في زاوية من ذاكرتي، ينتظر أن يُكتشف.

هل هي حقيقية؟ أم مجرد حلم عابر؟ السؤال الذي لم أستطع الإجابة عليه. من تكون نوڤيلا؟ وكيف وصلت إلى هنا؟

كلما حاولت فهمها، كلما زادت الأسئلة، وكلما تقلصت الإجابات. كانت تعيش في الفراغ بين الحقيقة والخيال، حيث كل شيء يبدو ممكنًا، وكل شيء أيضًا مستحيل

مقدمة

أحيانًا، يأتي شيء ما في حياتك ويبدو كأنه اختراق صامت للواقع، شيء يظهر فجأة ويغير كل شيء.

ليس بدايةً جديدة، بل تحولًا غير مرئي.

"نوڤيلا" ليست مجرد اسم. إنها لحظة.

لحظة تتحول فيها كل معاييرك للوجود إلى رماد.

لحظة تشعر فيها أن الحياة نفسها، بكل تفاصيلها، كانت مجرد خدعة صغيرة.

وأنت... كيف ستواجه الخداع؟

هل ستسعى خلف الحقيقة؟ أم أنك ستظل تبتعد، محاولًا الفرار من أسئلة لم تُطرح بعد؟

"هناك لحظات لا تشبه شيئًا، لا ماضي لها ولا مستقبل، فقط تتسلل كالوهم وتبقى".

لا أحد يتذكر متى بدأت القصة فعلًا. لا أحد يملك اللحظة الدقيقة التي تغيّر فيها كل شيء. لكنها كانت هناك، منذ البداية، منذ أول نظرة، منذ أول ارتجافة هواء، منذ أول ارتباك في نبض قلب أحدهم دون سبب.

كانت تمشي في الممرات بصمت يشبه صوت الرياح بين الأشجار، لا يُسمع لكنه يُشعر. لا تضحك كثيرًا، لا تتكلم كثيرًا، لا تختلط، لكنها ليست منعزلة. وجودها يشبه الخط الفاصل بين النور والظل، بين ما يُقال وما لا يُقال. اسمها؟ لا يهم. قالوا إن اسمها "نوڤيلا" لكنها لم تؤكد، ولم تنفِ.

كان كل شيء حولها يذوب في شيء آخر. الجدران لا تبقى كما هي حين تمر بجانبها، الهواء يتغير، والوقت يتمطى كعجينة لينة. الناس يمرّون بها

ولا ينتبهون، لكنها تترك شيئًا خلفها. سؤال. غصة. دهشة لا تفسير لها. كأن وجودها لغز حيّ، مكتوب بلغة لا أحد يجيدها.

"في كل مكان، كنتِ هنا من قبل".

قالها فتى ذات يوم، وهو يحدق في عينيها طويلاً، قبل أن يشيح بنظره وكأنه خجل من شيء لا يعرفه.

لم ترد. لم تبتسم. فقط نظرت إليه بنفس النظرة التي تجعل الأشياء القديمة تعود. وتترك في داخلك شعورًا بأنك كنت تعرفها في حياة أخرى، أو ربما في حلم لم تستيقظ منه بعد.

كان اسمها يتكرر في الغياب أكثر من الحضور. بين الممرات، في الدفاتر القديمة، على هوامش الكتب، في رسائل لم تُرسل أبدًا. كانت تظهر وتختفي بلا مواعيد، بلا أسباب، لكنها لا تُنسى. حتى الذين لا يعرفونها كانوا يشعرون بأنها جزء منهم، كأنها فكرة قديمة جدًا سكنت في أعماقهم يومًا ثم نسوها.

"الناس لا يختفون، هم فقط يتوقفون عن الظهور للعيان".

بدأ كل شيء في مساء خريفي، عندما اكتشف أحدهم أن صورًا قديمة على هاتفه تظهر فيها فتاة لم يتذكر أنه التقاها من قبل. نفس العينين، نفس الشعر، نفس الوقفة الغريبة أمام النوافذ، تنظر نحو الخارج وكأنها تنتظر شيئًا من السماء. لم يكن يعرفها. لكنه شعر بشيء يتحرك بداخله حين رآها. كأن قلبه يتعرف على ماضٍ لم يعشه.

وفي اليوم التالي، وجدها أمامه. واقفة عند نفس النافذة. بنفس الوقفة. بنفس النظرة.

"أنتِ"...

لكنه لم يُكمل. لأن الكلمات التي تخرج أمامها لا تكتمل أبدًا. كأنها تبتلع النهايات وتترك كل شيء عالقًا.

كانت تقول أشياء غريبة في أوقات غير متوقعة. جُملًا لا تشبه أي حديث، لكنها تلتصق بالذاكرة كأنها وُلدت لتبقى.

"الحقيقة ليست شيئًا نكتشفه، بل شيئًا نتذكّره".

"أحيانًا، أن تكون غريبًا هو الشيء الوحيد الحقيقي فيك".

"هناك من يعيشون كأنهم حلم أحدهم، لا أكثر".

لم تكن تحكي عن نفسها، لكنها كانت تفتح نوافذ في العقول المغلقة. وتجعل الناس يشكّون في كل ما اعتادوه. وفي كل ليلة، كانت تغادر المكان قبل أن يلاحظها أحد، تاركة خلفها شعورًا بغياب شيء لم يُفهم.

"كل من يقترب منها، يضيع جزء منه".

قالت إحدى الفتيات وهي تقلب صفحات دفترها، باحثة عن جملة كانت كتبتها في لحظة إلهام، ولم تجدها أبدًا.

حتى دفترها تغيّر. الصفحة البيضاء لم تكن كما تذكرها. والحروف لم تعد ترتّب نفسها كما كانت تفعل. وكأن الواقع يغيّر نفسه في حضور نوڤيلا.

وفي اليوم الذي قرر فيه أحدهم أن يتبعها، لم يعد أبدًا. ترك خلفه معطفه، ومفاتيحه، ودفترًا فارغًا، لا يحتوي إلا على سطر واحد في المنتصف:

"وجدتها، لكنها وجدتني أولًا".

ومنذ ذلك الحين، بدأت الأشياء تُكسر بصمت. المرايا تعكس أشياء لا تحدث. الساعات تتأخر ثم تسبق نفسها. الأصوات تُسمع قبل أن تصدر. والظلال تظهر من دون مصدر ضوء.

وكانت هي، في كل هذا، كأنها تقود سيناريو لا أحد يفهمه، لكن الجميع يشعر به. حضورها ليس قويًا، بل ناعم، يتسلل كضوء خافت في غرفة مغلقة.

أحيانًا، كانت تنظر في عيني شخص معين، وتقول:

"أنتَ كتبتني من قبل، أليس كذلك؟"

ولم يعرف أحد ماذا تقصد. لكنهم جميعًا شعروا بالخوف. وكأنهم فعلًا كتبوها. كأنها جاءت من خيالهم... وعادت.

"و إن كانت الحقيقة تتنكر في شكل حلم، فما الذي يجذبنا إليها؟"

في أحد الأيام، وبينما كانت المدينة تغرق في ضبابٍ ثقيل، قرر رجل كان يتابعها لفترة طويلة أن يكتب ما حدث. لم يكن أحد يعرفه. كان مجرد شخص اختار أن يظل في الظل، يراقبها دون أن تُلاحظه. لكنه في تلك اللحظة قرر أن يواجه الحقيقة، أو على الأقل، أن يحاول.

"من تكونين؟ "سأل نفسه، وهو يكتب على الورقة البيضاء، كما لو كان يتحدث إلى شيء غير مرئي.

لم تكن هناك إجابة، بالطبع. لأن نوڤيلا، كما عرفها الجميع، لم تكن لتجيب بسهولة. هي لا تنطق بالكلمات، بل تتركها تتساقط كما تتساقط أوراق الشجر في الخريف.

وفي تلك اللحظة، أثناء الكتابة، جاءه شعور غريب. شيء كان يراقبه منذ فترة، شيء يتسلل من بين سطور كتاباته، كأنه هو نفسه كان يكتب شيئًا لم يفهمه. لكن المرايا أحيانًا تكذب، أليس كذلك؟ أو ربما نحن من نكذب على أنفسنا.

"لا أستطيع أن أهرب من هذا ".كتب في دفتره، ومن ثم أضاف" :لكن هل الهروب هو ما أحتاجه؟ أم أنني هنا لأواجه شيئًا أكبر؟"

وفي المساء، عندما قرر أن يخرج بحثًا عنها، لم يجدها في المكان الذي كان يتوقع أن تكون فيه. كانت قد اختفت. كان الهواء نفسه باردًا، كأن المدينة بأسرها كانت تعلم ما سيحدث قبل أن يحدث.

ولكنه شعر بشيء غريب في قلبه، شعورٍ يتسلل كدخان في مكان مظلم. ثم التفت ليجد أن الجدران المحيطة به تغيرت. كأن المكان نفسه قد أُعيد تشكيله. الغرف أصبحت أكثر ضيقًا، الزوايا أكثر حدة، والظلال أصبحت أكثر كثافة.

ثم وجد نفسه في الزمان الذي لا ينتهي، حيث لا ماضٍ ولا مستقبل. المكان الذي لا يُرى إلا لمن يريد أن يراه. وكان هناك، وسط كل هذا، هو... نوڤيلا.

"أين كنتِ؟ "همس في نفسه، دون أن يجرؤ على النطق.

ولكنها كانت هناك، تبتسم بابتسامة غامضة، وتقترب منه كما لو كانت هي الزمن ذاته. "كنتُ دائمًا هنا." قالت هذه الكلمات بهدوء، وكأنها تعني أكثر مما يبدو.

ومن هناك، بدأ يشك في كل شيء. في نفسه. في الزمن. وفي المكان. هل هو هنا حقًا؟ أم أنه في حلم لا يستطيع الاستيقاظ منه؟ كان يحاول أن يستجمع نفسه ليواجهها، ليطرح السؤال الذي كان في قلبه منذ البداية:

"لماذا؟"

لكن السؤال الذي طرحه، أو ربما كان يجب أن يسأله، لا يأتي إلا عندما تكون كل الإجابات قد اختفت. كانت نوافذ الزمان تتبدل بسرعة، والعوالم تتداخل، والأشياء التي كانت ثابتة في مكانها بدأت تتحرك. وكلما اقترب منها، كلما زادت المسافة بينه وبين نفسه.

كانت تعرف كل شيء. وكان يعرف أنه لا يعرف شيئًا. وأن كل شيء في عالمه كان مجرد انعكاس لشبكة خيوطٍ غير مرئية، ومع ذلك، كان يشعر أنه معلق بين هذه الخيوط، محاصر في شيء أكبر من إرادته.

"هل تعتقد أن الهروب ممكن؟ "سألته، لكن الكلمات كانت تتساقط كما لو كانت تمثل سؤالًا قديمًا.

ومع مرور الوقت، بدأ يرى تلك الوجوه التي لم يعرفها، والتي بدت مألوفة جدًا. كانت تتسلل عبر الجدران، عبر المرايا، عبر الزمان والمكان، كأنها جزء من الحياة التي لا يمكن تفسيرها. كان يراها في كل مكان، كلما حاول الهروب. ولكنها كانت دائمًا تأتي إلى حيث كان هو.

"أنت تعتقد أنك تهرب، لكنك تجلب نفسك إلى حيث يجب أن تكون ". قالت نوڤيلا، ثم اختفت من أمامه، كما لو أن الزمن نفسه كان يعيد تشكيل نفسها في كل مرة.

وفي تلك اللحظة، أدرك أنها كانت جزءًا منه، جزءًا من كل شيء. وكلما شعر أنه يهرب، كان يجد نفسه أكثر قربًا منها. كأنها كانت هي، في النهاية، الحقيقة الوحيدة التي كان يبحث عنها.

وما أن غابت، حتى تركت وراءها شعورًا غريبًا بالفراغ. وكأنها قد أعادت تشكيله، كما تعيد الماء شكله في إناء. ولكن، ماذا كان سيكون الشكل القادم؟ ولماذا كانت هي دائمًا هناك؟

أخذ يكتب في دفتره بحروف متسارعة:

"كل من يقترب منها، يضيع جزء منه ".كان يكتبها كما لو كانت الحقيقة الوحيدة التي كان يعرفها .وكأن هذه الكلمات هي ما سيظل يرافقه، في كل لحظة، في كل مكان، في كل ما سيأتي.

ومنذ تلك اللحظة، بدأ يختبر شيئًا غريبًا. ليس فقط في نفسه، ولكن في كل شيء حوله. الجدران تتغير، التوقيت يتأخر أو يسبق نفسه، الألوان تبدأ في التلاشي، والصوت نفسه يتردد قبل أن يُسمع. وكلما اقترب منها، زادت الأسئلة.

وكانت هي، في النهاية، تلك الإجابة التي لا تطاق.

"الذاكرة ليست ما نتذكره، بل ما نُجبر على نسيانه."

الأشياء التي تتغير في حياة الإنسان لا تحدث فجأة. هي تتسلل، تتسرب بهدوء، ثم تصبح جزءًا منه دون أن يدرك. هذا ما كان يلاحظه كلما اقترب

من نوڤيلا. كلما حاول أن يفهمها، كان يشعر وكأنها تبتعد أكثر. وكأنها تلعب معه لعبة غامضة، يظن أنه يقترب من حلها، بينما هي تخلق له متاهات جديدة.

في البداية، كانت الأمور بسيطة. كانت مجرد نظرة غامضة في الزمان والمكان. مجرد حدث غير متوقع. لكن مع مرور الوقت، بدأ يشعر بتغيير غير مريح. كان هناك شيء يحدث، شيء كان يعرفه في أعماقه، لكن عقله كان يرفض تصديقه. لقد أصبح واقعًا مزدوجًا. عالمه الذي كان يعرفه أصبح يتشقق، ويظهر من خلفه شيء آخر. شيء لا يمكن تفسيره.

"ماذا لو كنت أنت جزءًا من حلمي؟ "قالها مرة بصوت منخفض، وهو يقف أمامها، عينيه تلتقطان الظلال التي تتحرك خلفها، تتراقص كما لو كانت تتلاعب به.

وأجابته بابتسامة لا تفسر شيئًا. "ماذا لو كان العكس؟" قالت.

كانت هذه الجملة الوحيدة التي حملت فيها علامات من الجدية. كانت الجملة التي جعلت الواقع يلتوي، وكأنها كانت تقول له شيئًا عميقًا لكنه لم يفهمه بعد.

مرت أيام، وربما كانت أسابيع، وكلما حاول أن يبتعد، كلما وجد نفسه يلتقي بها مجددًا. كأنها كانت جزءًا من كل خطوة يخطوها، جزءًا من تلك المسافة التي تبدو غير مرئية. لكن الشعور كان يزداد قوة مع مرور الوقت. وكان يعرف في قلبه أنه لا يستطيع الهروب.

"كل من يهرب، سيجد نفسه في نفس المكان ".كانت هذه الكلمات تتردد في ذهنه، كما لو أنها كانت تنبع من قلبه، كما لو أنها حقيقة كان يهرب منها فقط.

وفي أحد الأيام، وجد نفسه في مكان غير مألوف. المكان كان يبدو مثل أي مكان آخر، لكنه لم يكن كذلك. كانت الجدران تبدو وكأنها تشوهت، والألوان كانت غريبة، وكان الزمن نفسه يشد نفسه إلى الوراء، ثم يندفع للأمام.

كان هناك شعور بأن المكان يتلاشى، وكأن الأرض تحت قدميه تبتعد. كان يشعر بشيء ثقيل في صدره، وكأن المكان نفسه يضغط عليه. كان كل شيء يتغير أمام عينيه، وكان الوقت يتلاشى. هذا هو الحال عندما تقترب منها. كل شيء يندمج، كل شيء يختلط. لا ماضٍ، لا حاضر، ولا مستقبل. مجرد لحظة متواصلة لا تنتهي.

"اللحظات لا تكون كذلك ".قالت له بصوت هادئ، وكأنها تقرأ ما يدور في ذهنه" .لحظة واحدة تكفي لتغيير كل شيء .لكنك لم تفهم بعد".

كانت هذه هي اللحظة التي فهم فيها أخيرًا. كان كل شيء، من حوله، مجرد انعكاس لما كان يراه. كان هو نفسه محاطًا بتلك اللحظات غير المنتهية، والتي لا يمكن تفسيرها، ولكنها كانت تملأ حياته كلها. كانت نوڤيلا هي المِرآة التي تعكس له كل شيء، وكلما اقترب منها، كلما أصبح أكثر ضياعًا.

وفي تلك اللحظة، فهم أن الوجود لا يتعلق بالأشياء التي تحدث، بل بالأشياء التي لا تحدث. لأن الحقيقة كانت موجودة في الفراغ بين اللحظات، بين الكلمات التي لا تُقال، بين النبضات التي لا تُحس. وكأن كل شيء غير مرئي، غير ملموس، هو الواقع الأصيل. وكأن هذا الوجود نفسه كان يشبه الحلم الذي لا نستطيع الاستيقاظ منه.

"كلما اقتربت، أصبحت أكثر ضياعًا ".كانت هذه هي كلمات قلبه . الكلمات التي خرجت لتكون مرآة لأفكاره .كلمات كان يعلم أنها لم تكن فقط مجرد كلمات، بل كانت حقيقة لا يستطيع الهروب منها.

وفي اللحظة التي قرر فيها أن يفهمها، بدأ المكان يتحول مجددًا. الجدران تبتعد، والظلال تصبح أطول. كان يشعر وكأن الزمن يتوقف، ثم يبدأ في التحرك في الاتجاه المعاكس. كما لو أن كل شيء كان يتحرك حوله، بينما هو ثابت في مركزه. وعندما نظر إليها مجددًا، لم يكن يرى شخصًا. كان يرى جزءًا من الزمن، جزءًا من نفسه.

وفي تلك اللحظة، قرر أن يواجهها، أن يطرح السؤال الذي ظل في ذهنه طوال الوقت.

"أنتِ من تكونين؟"

ابتسمت ابتسامة غامضة، ثم قالت بهدوء، وكأنها تقول شيئًا لم يفهمه بعد:
"أنت تعرفني أكثر مما تتخيل."

ومن هناك، كان كل شيء مختلفًا. لم يعد الزمن كما كان. لم يعد المكان كما كان. بدأ يشعر بشيء جديد يتسرب إلى نفسه. وكأن كل شيء كان محاطًا بمسارات غير مرئية، لا يمكن تفسيرها. وكان هو نفسه جزءًا من هذا النظام غير المفهوم.

كان كل شيء يتبدل من حوله، وكان يعلم في أعماقه أنه لا يمكن الهروب من هذا الواقع الجديد. هو، مثل الجميع، كان جزءًا من الحلم الذي لا يمكن الاستيقاظ منه.

"كل الطرق تؤدي إلى نفسه، لكن الحقيقة هي الطريق التي لا نعرفها حتى نصل إليها."

كان يشعر بفراغ غريب، يشبه تلك اللحظات التي تسبق الفجر، عندما يكون العالم نائمًا ولكنك لا تزال مستيقظًا، تنتظر شيئًا ما. كان يتساءل: هل هذا هو ما يشعر به الجميع عندما يقتربون من الحقيقة؟ وهل كانت نوڤيلا هي الحقيقة نفسها؟ أو ربما كانت مجرد تجسيد لها، تختبئ وراء كلمات غير مكتملة، وحركات غير مرئية، وقلب ينبض بنبضات لا تنتمي لهذا العالم.

"إن الحياة ليست سوى سلسلة من اللحظات التي لا تكتمل أبدًا".

كانت هذه إحدى العبارات التي سمعتها منه ذات يوم. كان يقف أمام نافذة قديمة، ينظر إلى السماء، وكأنها قادرة على أن تخبره بما كان يحاول فهمه. ولكنه لم يكن يعرف حتى ذلك الوقت أنه كان يقف أمام النافذة ذاتها التي رآها في الصور القديمة. نفس النافذة، نفس الزمان، نفس اللحظة.

حينما تراجعت نوڤيلا إلى الوراء بخطوات هادئة، كان قلبه يطرق بسرعة. كان يعلم أن هذه اللحظة ستكون هي اللحظة الحاسمة، لكن لم يكن يعرف كيف سيواجهها. كان يشعر أن الزمان والمكان يتداخلان، وكأنهما قد تمزقا تمامًا. هل كانت هذه هي النهاية؟ أم البداية؟ كانت هذه الأسئلة تتردد في عقله، لكن لا إجابة تأتي، فقط الصمت يملأ الفراغ.

"كلما اقترابنا من النهاية، كلما أصبحنا أكثر ضياعًا".

قالت تلك الكلمات، ثم تلاشى صوتها فجأة في الهواء. كان يعتقد أنه فهم مغزاها، لكن في اللحظة التالية، وجد نفسه أمام سلسلة جديدة من الأسئلة. كان الزمن يتباطأ، لكنه لا يتوقف. كان يعتقد أنه يقترب من الإجابة، ولكن كلما اقترب، كلما شعر بمزيد من الضياع.

كان الوقت يتغير حوله، وبدأ يدرك أن نوڤيلا ليست مجرد شخص. هي أكثر من ذلك بكثير. كانت جزءًا من الزمن نفسه، جزءًا من هذا الحلم الكبير الذي لا يمكن للإنسان أن يعيشه كاملاً.

"الزمن هو الذي يلعب بنا، وليس العكس".

في اللحظة التي قال فيها هذا، شعر وكأنها تقف أمامه بشيء من الحزن. كان يتساءل: هل كان هو من يلعب بالزمن؟ أم أن الزمن كان هو الذي يلعب به؟ لا إجابة. فقط الحيرة.

كانت تتنقل في الممرات وكأنها لا تلامس الأرض، وكأنها لا تشعر بما حولها. كل خطوة كانت تترك وراءها شعورًا غريبًا. كما لو أن كل خطوة كانت تضيف شيئًا جديدًا إلى الواقع، شيء لا يمكن تفسيره. كان يلاحقها، لكنه لا يستطيع الاقتراب.

"في النهاية، كل شخص يصبح جزءًا من اللغز".

قالت تلك الكلمات كما لو كانت محطمة للواقع، ومع ذلك كانت غير قابلة للفهم. كان يعرف في أعماقه أن هذه الكلمات تحمل سرًا عميقًا، ولكن كان هناك شيء يحول دون اكتشافه.

في لحظة معينة، تجنب النظر إلى عينيها، كما لو كان يعلم أن كلما نظر إلى عينيها أكثر، كلما اقترب من الحقيقة. كان يخاف من تلك النظرة. كان يخاف أن يجد نفسه فيها.

"أنت لم تعد كما كنت، ولكنك كنت دائمًا هنا".

كان هذا هو الصدى الذي تركته كلماتها في ذهنه. كانت كلماتها تتكرر في ذهنه مثل صدى بعيد، يبتعد ثم يعود مجددًا، دون أن يختفي. كان يلاحقها طوال الوقت، ولكنه لم يستطع اللحاق بها. كانت دائماً على بعد خطوة واحدة، وكأنها تراقب كل حركة له، لكن دون أن تلمسه.

كانت نوڤيلا عالماً بحد ذاتها، عالمًا لا يمكن للآخرين فهمه بالكامل. كلما اقتربوا منها، كلما أصبحوا أكثر ضياعًا. كانت تغذي أسئلتهم، لكنها لا تعطيهم الإجابات.

"الحقيقة هي غياب كل شيء، والوجود في اللحظة التي لا يراها أحد".

وفي تلك اللحظة، شعر بها، كما لو أنها كانت تراه بنفس الطريقة. كما لو كانت هي الحقيقة التي كان يبحث عنها طوال حياته، ولكنها كانت تُخفي نفسها بين الجمل والمواقف التي لا يمكن تفسيرها. كانت الحقيقة مثل الظل، موجودة ولكن لا يمكن الإمساك بها.

وكما هو الحال مع كل شخص اقترب منها، وجد نفسه في حالة غريبة من الغموض. الوقت أصبح غير قابل للقياس، والمكان أصبح مرنًا، يغير شكله كلما حاول تحديده.

"كل من يعتقد أنه يهرب، يكتشف أنه يركض في نفس المكان".

كانت هذه هي الكلمات الأخيرة التي قالها أحدهم قبل أن يختفي. كانت أقدامه قد تركت آثارًا على الأرض، لكن تلك الآثار اختفت في اللحظة التي اختفى فيها. لم يبق شيء، إلا فراغ عميق.

كما لو أن كل من يتبعها يختفي، وكل من يظن أنه قادر على الإمساك بها يكتشف أنه قد وقع في فخ أكبر. كانت نوڤيلا تمثل شيء أكبر من مجرد شخص. كانت تمثل الزمن ذاته، أو ربما كانت هي نفسها لحظة من لحظات الزمن التي لا يمكن إدراكها.

كان هذا هو السر، أن كل من يقترب منها يتعثر في الوقت، ويتشابك مع الحلم. وبينما هو يلاحقها، كان يعلم في أعماقه أن كل خطوة تبتعد عنه ستقوده إلى مسار آخر، غير مرئي، ولكنه موجود.

وكان هو، في كل هذا، جزءًا من اللغز الذي لا يستطيع حله. كانت نوڤيلا، كما هي، لغزًا حيًّا، والحل يكمن في سؤال لم يجرؤ أحد على طرحه.

"أنت لست هنا .وأنت هنا في كل مكان".

كانت هذه الكلمات، التي قالها قلبه في اللحظة التي اقترب فيها منها، هي التي عكست كل شيء. كانت تعني شيئًا عميقًا، شيء لا يمكن للعقل أن يستوعبه.

"بعض الأشياء لا نختارها، بل تختارنا، وتظل تلاحقنا حتى لو أنكرنا وجودها."

في تلك الليلة، وبينما كانت المدينة تغفو على صوت المطر، كان هو لا يزال مستيقظًا، يحمل بين يديه دفترًا فارغًا إلا من جملة واحدة كتبها دون أن يتذكر متى: "هي لا تشبه أحدًا... حتى الحقيقة."

كانت الذاكرة تلعب دورًا خبيثًا معه؛ تمنحه صورًا متفرقة، وجملًا ناقصة، وملامح تتشكل ثم تختفي. كان يعتقد أحيانًا أنه اخترعها، اختلق وجودها في لحظة هروب من نفسه، لكنه سرعان ما يتراجع عن هذا الظن حين يشعر بها أقرب من أن تكون خيالًا.

"هناك وجوه لا نراها، بل نحسها."

قال له صديقه ذات مساء بينما يحاول أن يقنعه أن ما يشعر به ليس حقيقيًا، لكنه لم يكن يعرف أن الواقع قد تغير بالفعل، وأن نوڤيلا لم تكن مجرد فتاة، بل نقطة الانكسار بين الممكن والمستحيل.

في أحد الأزقة الضيقة، حيث تُلقى الظلال دون سبب، سمع صوتها. لم تكن كلمات واضحة، لكنها كانت تشبه صوتًا قد سمعه من قبل في حلم نسي ملامحه. تتبع الصوت، ووجد نفسه أمام باب خشبي قديم، نصفه مكسور، والنصف الآخر مفتوح بالكاد. دخله.

الغرفة كانت شبه فارغة، إلا من مرآة كبيرة تتوسط الحائط المقابل، تنبعث منها إضاءة خافتة رغم الظلام الكامل. اقترب منها، فرأى وجهه، لكن ليس كما يعرفه. كان في عينيه ظل آخر، نظرة لا تخصه، كأن هناك شخصًا آخر يسكنه.

"المرآة لا تعكس الحقيقة، بل ما نخاف أن نراه."

قالت ذلك بصوتها الهادئ، دون أن يراها، لكنه شعر بها خلفه، تمامًا كما شعر بها دائمًا، حاضرة وغائبة في آنٍ واحد. التفت، فلم يجد أحدًا، لكن عبق وجودها لا يزال في المكان. مرآة، ظلال، وهم... أو ربما شيء أعمق.

في الليالي التالية، بدأت تتكرر صورها في أماكن غير منطقية: في انعكاس ماء راكد، في زجاج النوافذ، في أحلام الآخرين. حتى من لم يعرفها بدأ يشعر بها، وكأنها تسرّبت إلى قلوبهم بطريقة لا يدركونها.

"الحضور لا يحتاج إلى جسد، يكفي أن تكون الفكرة حيّة."

بعضهم كان يحاول الحديث عنها، لكن الكلمات تخونه. كيف تصف شخصًا لا تعرف كيف ومتى التقيته؟ كيف تصف شعورًا لا يشبه أي شعور آخر؟ كان هناك شيء خفيّ يجعل الجميع يصمت حين تُذكر، وكأن وجودها محاط بتحذير صامت.

في يوم غائم، جلس أمام البحر، يحاول أن يكتبها. لكنه فشل. كل الكلمات كانت تتبخر، كأنها ترفض أن تُروى. كأنها تخاف أن تُحاصر داخل الورق. كلما كتب، مُحي الحبر. كلما فكر، نسي. كانت ترفض أن تكون مملوكة، حتى للحروف.

"هي ليست قصة تُحكى، بل صدى يُشعر."

وفي أحد الأيام، استيقظ ليجد دفتره ممتلئًا بكلمات لم يكتبها. جُمل متناثرة، وأفكار ناقصة، لكنها كلها تحمل صوتها. توقيعها، رغم أنها لا تكتب. كلمات كُتبت بالحبر نفسه الذي اختفى يومًا ما.

"لا تبحث عني... أنا خلف كل ما تراه."

"حين تُصدّق أني حلم، أعود حقيقة."

"لا تناديني باسم... الأسماء قيد، وأنا خفيفة بما يكفي للطيران."

بدأ يدرك شيئًا فشيئًا أن نوڤيلا ليست امرأةً عادية، بل هي مجموعة من الأشياء التي فقدناها ولم نعد نملكها. هي لحظة في الزمن لم نعد نتذكرها، لكنها لم تغادر. هي الحدّ بين ما نظنه وما نؤمن به.

"أحيانًا، الأشياء التي نحبها بشدة تختار أن لا تكون لنا، لأنها أكبر من أن تُملك."

أحدهم قال يومًا إنه رآها تمشي في شارع لا يؤدي إلى أي مكان. وعندما حاول اللحاق بها، وجد نفسه في مكان لم يزره من قبل. لا خرائط له، ولا ملامح. فقط شعورٌ مألوف بالضياع. قال إنه سمعها تهمس:

"أنت الآن في داخلك... لكنك تظن أنك في الخارج."

منذ ذلك اليوم، لم يعد كما كان. أصبح يكتب جُملًا على الجدران، يتحدث إلى الغرباء عن امرأة لا يعرفها، يبتسم في وجه الغياب، ويبكي في لحظة الصمت. كان يعيشها... دون أن يراها مجددًا.

"في كل مرة تُغلق فيها عينيك، أنا أراك."

في المقاهي القديمة، في المكتبات التي تبيع الكتب المستعملة، كانت تظهر له وجوه تشبهها. عيون عميقة، وابتسامة غير مكتملة، وأصابع تعبث في دفاتر مهترئة. لكنه لم يكن يعرف إن كانت تلك وجوهًا حقيقية أم مجرد إسقاطات من ذاكرته.

ومع الوقت، أصبح كل شيء مُعلقًا بها. كل قصة يسمعها، كل مشهد يراه، كل لحن يسمعه. كان يهمس لنفسه:

"الحقيقة أنني لم أبحث عنها، بل وجدت نفسي حين عثرت عليها."

ثم جاء اليوم الذي اختفى فيه هو الآخر. لم يودّع أحدًا، لم يترك أثرًا سوى دفتر واحد، كُتب على غلافه:

"هذه ليست رواية، بل أنت."

وفي الصفحات، كانت هناك كلمات غير مفهومة، وكأنها كتبت بلغة لا يقرأها أحد. إلا في الصفحة الأخيرة، حيث وُجدت جملة واحدة:

"حين نكتب عن شيء لا نفهمه، نحن نخلق له وجودًا أبدياً."

ومن يومها، بدأ الغرباء يتحدثون عن فتاة تمرّ صامتة في الأزقة، تبتسم ابتسامة يعرفها القلب، ولا يعرفها العقل. فتاة لا اسم لها، ولا ظل، لكنها تملأ المكان. يُقال إنها نوڤيلا... لكن لا أحد متأكد.

"أحيانًا، لا نعرف إن كنا نحن من نبحث عن القصة... أم القصة هي من وجدتنا."

كان المطر لا يزال يسقط، ببطء وهدوء، وكأن السماء تتنفس بصعوبة. نوافذ المباني كانت تلمع بانعكاس الضوء، لكن خلف كل زجاج، كانت هناك قصة لم تكتمل. وكانت هي – نوڤيلا – في كل هذه القصص، لا كحدث، بل كإحساس يربك الترتيب.

في المدينة التي تنسى أسماء أهلها، ظلّ اسمها عالقًا في اللاوعي. الأطفال رسموها دون قصد في دفاترهم، الشيوخ تحدثوا عنها في نوبات الشرود، والنساء قلن إن ملامحها تشبه الحنين.

"الذاكرة تختلق وجوهًا حين تفتقد الحقيقة."

في إحدى المكتبات القديمة، تحت رف مهجور، وجد رجل مسنّ كتابًا بلا عنوان. أوراقه باهتة، وصفحاته غير مرقّمة، لكن في منتصفه تمامًا، صورة وجه باهت، ملامحه غير مكتملة، وعيناه تحدقان في القارئ.

كتب أسفل الصورة:

"أحيانًا لا تحتاج إلى أن تكون حيًّا لتُرى."

لم يعرف الرجل ما يعنيه ذلك، لكنه شعر بشيء يتحرك داخله. تذكّر حلمًا قديمًا، أو ربما مشهدًا من طفولته. امرأة كانت تجلس على حافة سريره، تمسح على رأسه، وتغني أغنية لم يسمعها إلا مرة واحدة... لكنه لم يعرفها يومًا.

في اليوم التالي، اختفى الكتاب.

ومع الوقت، بدأت الحكايات تنتشر عن ظهورات عابرة لفتاة مجهولة في أماكن لا يدخلها أحد. في محطة قطار مهجورة، شوهدت تمشي على القضبان ليلاً. في حديقة قديمة، سمع بعضهم صوت خطوات خلف

الأشجار، لكنهم لم يروا أحدًا. وفي قاعة سينما مغلقة، اشتعلت شاشة العرض من تلقاء نفسها، وعرضت وجهها للحظات.

"الذين لا يملكون مكانًا في العالم، يصنعون لأنفسهم وجودًا بين الظلال."

في إحدى المرات، طرق أحدهم باب رجل كان يعيش وحده منذ سنوات. لم يفتح، لكنه صاح من الداخل: "إنها ليست هنا. خرجت منذ قرون، لكنها لم تُغادرني."

وحين دخلوا إليه في اليوم التالي، وجدوه ميتًا... وابتسامة هادئة تعلو وجهه. وعلى الجدار، كُتبت عبارة بخط غير واضح:

"أخيرًا، لَمْحتُها كاملة."

كانت نوڤيلا تظهر فقط لمن فقد شيئًا عزيزًا، شيئًا لا اسم له. كانت تظهر للذين عاشوا نصف حياة، والذين انتظروا جوابًا لم يأتِ، والذين حلموا بمن لا يعود.

"إنها ليست شبحًا، بل انعكاس ما لم نقله."

قالت امرأة مسنّة وهي تغلق نوافذ منزلها كل مساء. لم تكن تخاف، لكنها كانت تحترم وجودها، كما يُحترم الغياب حين يصبح أثقل من الحضور.

في مقهى مهجور، دخل شاب في العشرين من عمره، جلس أمام طاولة مغطاة بالغبار، وبدأ يتكلم معها وكأنها أمامه. قال لها كل ما لم يجرؤ على قوله لأي أحد. تحدّث عن الخوف، عن الوحدة، عن رغبته في أن يكتب قصة دون نهاية.

"هل تسمعينني؟"

همس، وهو ينظر نحو المقعد المقابل.

"أنا لا أريدك أن تكوني حقيقية... فقط لا تختفي."

وفي تلك اللحظة، اهتزّ الكوب أمامه، قليلًا... ثم استقر.

"الوجود أحيانًا لا يحتاج إلى جسد، فقط إلى إصغاء."

حين خرج، لم يتذكر ما قاله، لكن قلبه كان أخفّ. وعندما عاد في اليوم التالي، وجد ورقة مطوية على الطاولة، كُتب عليها بخط لم يعرفه:

"ما لا نقوله... لا يضيع، فقط ينتظر من يسمعه."

كانت نوڤيلا في كل شيء لا يُفسّر. في الرسائل التي تصل دون مرسل، في الأغاني التي تلامس القلب فجأة، في الروائح التي تعود من زمن بعيد، في الحنين الذي لا يُعرف مصدره.

وفي إحدى الليالي، حلم بها شاب لم يلتقها أبدًا. كانت تجلس تحت شجرة برتقال، تقطف الثمار دون أن تلمسها، وتقول له:

"إذا أردت أن تكتبني، فلا تحاول أن تفهمني."

استيقظ مذعورًا، وقلبه ينبض بطريقة غير مألوفة. أمسك قلمه، وبدأ يكتب. لم يتوقف لساعات. لم يقرأ ما كتبه، لكنه عرف أنه كتب عنها... للمرة الأولى... وربما الأخيرة.

"بعض القصص لا تُكتب بالحبر، بل بالوجع."

مع مرور الوقت، أصبحت نوڤيلا مرآة لكل من ضاع بين الحقيقة والوهم. من لم يعد يثق بالزمن. من قرر أن يعيش اللحظة دون أن يسأل لماذا.

وفي أحد الممرات، بين جدارين متشققين، رأوها تمشي عكس الريح. لم تكن ترتدي شيئًا لافتًا، لم تكن جميلة بشكل استثنائي، لكنها كانت كاملة... بصورة ناقصة. كأنها خُلقت لتكون فجوة، لا امتلاء.

اقترب منها طفل، سألها:

"أنتِ حقيقية؟"

نظرت إليه... وابتسمت، ثم همست:

"الحقيقة أنك أنت الحلم، ولست أنا."

واختفت... كما تفعل دائمًا.

"لا تحتاج بعض الأرواح أن تُشرح؛ يكفي أنها تمُر بنا فتُغيّرنا."

كانت الليالي تبدو أطول مما ينبغي، وكأن شيئًا ما كان يرفض أن يُغلق ستار هذه الأيام. الهدوء الذي يغلف المدينة في تلك الساعات المتأخرة لم يكن مطمئنًا، بل كان يشبه الانتظار. انتظار لشيء غير واضح، لا يُعرف إن كان سيأتي أم كان هنا بالفعل.

وفي وسط هذا الغموض، كانت تظل نوڤيلا كما هي، تمشي بين الأزقة وكأنها تعرفها جميعًا، وكأنها بنتها بنفسها في ليلة حنين، ثم عادت تتفقدها لتتأكد أن الألم ما زال ساكنًا الجدران.

"رأيتها تمشي داخل حلمي، ثم استيقظت لأجدها واقفة أمام سريري."

قالها رجل في منتصف العمر، كان يعمل في إصلاح الساعات. منذ تلك الليلة، لم يعد قادرًا على إصلاح أي ساعة أخرى. كانت كل ساعة تتوقف بين يديه، كما لو أن الزمن نفسه يرفض أن يُستعاد.

في دفتر يومياته كتب: "لقد عبثت بشيء في داخلي... شيء لم يكن قابلًا للزمن من قبل."

كان الناس يتحدثون عنها كأنهم يعرفونها، لكنهم لم يروها. يتبادلون القصص، كلٌّ منهم يدّعي أنها مرت به، نظرت إليه، همست له بكلمة، أو حتى تركت ظلها يمر على كتفه. لم يكن أحد متأكدًا من شيء، لكنهم جميعًا شعروا بوجودها. وذاك هو الأمر الأكثر رعبًا: أن تشعر بوجود شخص لا تعرف إن كان حيًا أو ذاكرة تمشي.

"الغياب لا يكون مؤلمًا إلا حين يكون ملموسًا."

في إحدى المرات، جلست فتاة في محطة القطار، كانت تنتظر شخصًا لا تعرف اسمه. قالت إنها تلقت رسالة مكتوبة بخط أنثوي: "قابليني عند الرحيل، سأكون هناك حين ينسى الجميع كيف يصلون."

وعندما انتظرها الناس ليعرفوا من المرسلة، وجدوها تنظر إلى قطار لم يصل. في يدها دفتر فارغ، وفي عينيها نظرة تشبه من انتظر كثيرًا وفهم أن

الانتظار لم يكن الغاية. ثم قامت، ومشت بين الحشود، ولم يرها أحد بعدها مجددًا.

"أنا لا أبحث عنها، أنا أحاول أن أنسى أين رأيتها."

قالها شاب في العشرين، كان يكتب شعرًا عن الليل، لكنه توقف. لم يعد يعرف الفرق بين القمر وانعكاسه، بين الصوت وصداه، بين نبض القلب وارتعاش الذاكرة. ظل يتساءل: هل نوڤيلا شخصية مرّت؟ أم ظلّ فكرة لم تكتمل؟

"بعض الوجوه تسكننا، ليس لأنها كانت حقيقية، بل لأنها كانت ناقصة بما يكفي لنكملها نحن."

في معرض لوحات مهجور، علّق رسام لوحة لم يُكملها قط. وجه أنثى غير واضح، وعينان تشبهان أكثر من شخص. كتب بجانب اللوحة: "حين تأتيني كاملة، سأرسمها من جديد. لكنها تترك لي نصفها فقط، والباقي... علي أن أتخيله."

وفي الليلة ذاتها، اشتعلت اللوحة دون نار. فقط تلاشت، وترك الحائط خلفها ظلالًا تشبه شكل امرأة تقف، وتنظر.

مرّت أيام، ولم يحدث شيء ظاهر، لكن كل شيء كان يتغيّر. الكلمات أصبحت أثقل، الصور تبهت سريعًا، العيون لا تثبت على شيء، كأن الناس يفقدون إحساسهم بالمادي. وكأن نوڤيلا لم تكن فتاة، بل عدوى شعورية، تنتقل من قلب إلى آخر، تُربك، تُقلق، وتوقظ.

"هناك لحظة واحدة كفيلة بتغيير كل شيء... وهي عادة لا تُعلن عن نفسها."

شخص واحد فقط قرر أن يكتب عنها علنًا. صحفي متقاعد، عاش وحيدًا بعد فقدان زوجته. قال إنه رآها في وجهها قبل أن ترحل. و إنه كان يسمع صوتها يهمس باسم "نوڤيلا" كل ليلة، قبل أن تغفو بين ذراعيه.

كتب مقالًا لم ينشره أحد، بعنوان:

"نوڤيلا: حين تصبح الذكرى جسدًا."

قال فيه: "إنها ليست فتاة، بل لحظة. شعور بالانتماء الخاطئ. نصف اعتراف. انعكاس لما لم نجرؤ على فعله. هي وجع ناعم. حضور هش. ليست ذكرى، بل إحساس بالذكرى. تظهر لتقول لك إنك لا تعرف نفسك بما يكفي."

أغلق المقال بخاتمة تقول:

"من يراها لا يعود كما كان... ومن لم يرها، يشعر أنه نسي شيئًا مهمًّا لا يعرف ماهيته."

في مساء رمادي، وقف صبي صغير في منتصف الشارع، وأخبر المارّة أن فتاةً تحدّثه كل ليلة من تحت سريره. قال إنها لا تُخيفه. بل تحكي له قصصًا لم يُكتب لها نهاية.

"قالت لي إن النهاية لا تُكتب، بل تُختبر."

ضحك الناس، ثم سأل أحدهم: "كيف عرفت أنها حقيقية؟"

أجاب الصبي: "لأنها لم تقل لي اسمها... فقط قالت: حين تكبر، ستعرف من تكون."

وفي اليوم التالي، وجدت والدته دفترًا في غرفته، كتبه بخط أنيق لم يُشبه خطّه، كله كلمات عن فتاة بعيون رمادية، تشبه لحظة بين الحلم واليقظة، تتحدث عن الوداع وكأنه لقاء مؤجّل.

"في اللحظة التي تحاول فيها فهمها... تختفي."

كانت نوڤيلا تُصيب بالذهول أكثر من الرعب. لم تكن تؤذي، لكنها كانت تُغير. تُبدّل الداخل، تجعل الأشياء المألوفة تبدو غريبة، وتجعل الغريب يبدو كما لو أنه كان هنا دائمًا.

قيل إنها ليست من هذا الزمن. وإن كل من كتب عنها، لم يعش طويلًا، ليس لأنهم ماتوا... بل لأنهم ذابوا في ما كتبوا.

"بعض الحروف تأخذنا أكثر مما نظن أننا نملك."

في قاعة مهجورة للموسيقى، جلس عازف بيانو يعزف مقطوعة لا يعرفها. قال إنه لم يتعلمها، ولم يكتبها أحد. فقط تأتيه أناملها، فتقوده.

"أشعر كأنها ترشدني، وكأن البيانو يتذكرها أكثر مني."

سأله أحدهم:

"هل هي حبيبتك؟"

قال:

"هي اللحن الوحيد الذي لم أخترعه... لكنه يشبهني أكثر مما أحتمل."

"بعض الأرواح تمر بنا لا لتبقى... بل لتكشف ما الذي لم نعد نراه."

لم تكن نوڤيلا مجرد ذكرى عابرة أو صورة غير واضحة في خلفية حكاية، بل كانت الحكاية ذاتها. كلما حاول أحدهم الإمساك بها، تسربت من بين أصابعه كالماء، لكنها تركت أثر البلل طويلًا، يرافقه شعور دائم بأنها كانت هنا، وكانت تعرفك أكثر مما تعرف نفسك.

في أحد الأيام، وُجدت على مقعد في الحديقة العامة رسالة مطوية بعناية، مكتوبة بخط نسائي مائل:

"إننا لا نغادر الأماكن، نحن نترك أنفسنا فيها ونرحل."

لا توقيع، لا تاريخ، لا مغلف. فقط رسالة، ومعها وردة جافة ما زال عطرها يسكن أطراف الورق.

مرّت فتاة بالمقعد ذاته، جلست للحظات، ثم أغلقت عينيها. وحين فتحتها، لم تكن كما كانت. قامت وغادرت، وبقي ظلّها على المقعد أطول مما ينبغي.

قال أحد المارة: "كأنها تركت جزءًا منها هنا... وكأن المكان أصبح يفتقدها قبل أن يُدرك أنها كانت موجودة أصلًا."

"الحضور لا يُقاس بالزمن، بل بالأثر الذي لا يرحل."

انتشرت القصص. لم تعد نوڤيلا فتاة غامضة تظهر وتختفي فقط، بل صارت ظاهرة، حالة، مفترق طرق في حياة كل من يمر بها. لم يسلم أحد من أثرها. حتى أولئك الذين لم يصدقوا وجودها، كانوا يلمحون اسمها يتسلل بين صفحات كتبهم، أو يهمس في أحلامهم بجمل لم يقولوها قط.

أحد المدرسين، رجل عقلاني، عُرف بحزمه وجفاف منطقه، وقف ذات صباح أمام طلابه وقال:

"كنت أكتب مسألة رياضية، وحين نظرت إلى اللوح، وجدت مكتوبًا بخط آخر: ما لا يُحسب... يُشعر."

ومن يومها، لم يعد يشرح الرياضيات بنفس الطريقه. صار يسأل طلابه عن أحلامهم، عن أكثر شعور لا يمكن وصفه، ويطلب منهم أن يكتبوه.

قال: "المنطق يحتاج ظلًّا من الغموض ليفهم نفسه."

ثم طوى دفتراً، كتب على غلافه: إلى نوڤيلا، التي جعلتني أرى.

"الوضوح الزائد يخنق المعنى."

في معرض صور فوتوغرافية أقيم على سطح مبنى مهجور، ظهرت صورة لا أحد يعرف من التقطها. فتاة تقف عند حافة الضوء، نصف وجهها واضح، والنصف الآخر مغطى بشيء يشبه الغبار أو الضباب. عيناها تنظران مباشرة إلى العدسة، لكنها لم تكن تحدق في المصور، بل في من سيشاهدها لاحقًا.

كُتب أسفل الصورة:

"كل من نظر في عينيها... تذكر شيئًا نسي أنه فقده."

قال أحد الزوار وهو يبكي:

"لقد رأيت أمي فيها."

وقالت أخرى:

"ذكرني وجهها بي وأنا طفلة، قبل أن أفقد شيئًا في الطريق."

حتى من لم يشعر بشيء، عاد ليراها مرة أخرى، فقط ليتأكد أنه لم يُخطئ في الشعور.

"الصورة لا تحفظ شكلنا، بل تحفظ ما فقدناه ونحن نبتسم."

تكررت رؤاها في المدن المختلفة، والأوقات المتباعدة. لكنها كانت دومًا تترك نفس الأثر. تجعلنا نتوقف. نُصغي لصمتنا. ونعترف بأن هناك شيئًا مكسورًا فينا منذ وقت طويل، كنا نحاول ألا ننظر إليه.

وفي إحدى المقاهي، جلس شاب غريب الأطوار، يحمل آلة كاتبة قديمة، ويكتب جملًا يقول إنها تأتيه من فتاة لا يراها، فقط يسمع خطواتها تقترب حين يهمّ بالكتابة.

في أحد الأوراق، كتب: "قالت لي: لا تكتبني كما تتمنى، بل كما أخاف أن أكون."

وفي ورقة أخرى: "أنا لست خيالك... أنا أنت حين لا تُراقب نفسك."

ترك تلك الأوراق على الطاولة، وغادر، ولم يعد. لكنّ الآلة الكاتبة ظلت تكتب وحدها، كل ليلة، في نفس التوقيت، كلمات غريبة، بلا شاهد، بلا يد.

"أعمق ما فينا... لا يُقال، بل يُلمّح له."

المدينة صارت أهدأ، لكنها أكثر قلقًا. الأماكن التي مرت بها نوڤيلا احتفظت بطيفها، كأن الأرصفة تتذكر وقع خطواتها، والهواء يحتفظ برائحتها. لا أحد يستطيع وصفها تمامًا، لكنها تترك أثرًا لا يُمحى.

في مكتبة صغيرة بزاوية شارعٍ ضيق، وجد أحدهم كتابًا بلا عنوان، غلافه أسود، وداخله صفحات شبه فارغة، باستثناء جملة تتكرر كل عشر صفحات:

"حين تقرأني... سأحدثك."

وفي آخر صفحة، وُجدت عبارة بخط مختلف:

"هذا ليس كتابًا... بل لقاء مؤجل."

منذ تلك الليلة، كل من لمس ذلك الكتاب، عاد إلى بيته بحلم واحد، يراه كل ليلة: فتاة تقف عند باب غرفته، لا تطرقه، لا تدخل، فقط تنظر وتبتسم، وتقول: "تذكرني؟"

"أحيانًا نحتاج لمن يذكّرنا أن ما نشعر به حقيقي، حتى لو لم نفهمه."

كتب أستاذ جامعي، كان يدرّس الفلسفة، في دفتر ملاحظاته:

"أشعر وكأن العالم قد تكرّر من قبل، وأنا فقط أعيش النسخة المعادة. في كل شيء أفعله، أرى طيفًا يشبه فتاة تشبه الشعور الأول بالدهشة."

ثم كتب: "نوڤيلا ليست شخصًا... بل إحساس دائم بأننا لا نعيش حياتنا بالكامل."

وفي ليلة ممطرة، جلس رجل مسنّ في الشرفة، يكتب رسائل إلى مجهول. قال إن فتاة زارته ذات مساء، جلست عند قدميه، وطلبت منه أن يكتب عنها.

"لم تقل من هي. فقط أعطتني قلمًا، وقالت: اكتبني كأنك رأيتني آخر مرة."

ومن يومها، لم يتوقف عن الكتابة.

قال لمن زاره ذات مرة: "كل يوم، أكتب رسالة واحدة، أضعها في زجاجة، وألقيها في البحر... ربما يصلني منها ما لا أجرؤ على قوله لنفسي."

"الحياة ليست ما يحدث، بل ما لا نقوله حين يحدث."

نوڤيلا... لم تكن لغزًا ننتظر حله، بل سؤالًا يجعلنا نُعيد التفكير بكل الأجوبة التي سلمنا بها. لم تأت لتُربكنا فقط، بل لتُعيد تشكيلنا. لتأخذنا إلى أماكن في داخلنا لم نزرها من قبل.

في صوتها لمسة من النسيان، وفي مشيتها تردّد الاعتراف. في وجهها لا يقين، وفي عينيها كل الأسئلة التي لم تُطرح قط.

"أنت لا تبحث عني... أنت تحاول أن تعترف بي."

"في بعض اللحظات، يصبح الظل أكثر وضوحًا من الضوء."

لم يكن من السهل على أي شخص أن يضع يدًا على نوڤيلا، أو حتى أن يُدرك تمامًا ما الذي كانت تفعله في هذه الأماكن. كان كل شيء يتعلق بها غير مكتمل، مثل لوحة رسمها فنان، وترك آخر لمساتها في آخر لحظة. كان حضورها يشبه فكرة، لا شكل ثابت لها، تتغير مع كل شخص يلتقي بها. كانت ترافقه دون أن يلاحظ، تدفعه للشك في كل شيء يعتقد أنه يعرفه عن نفسه، وفي نفس الوقت تمنحه إحساسًا بأن لديه جزءًا مفقودًا كان يبحث عنه.

جلس أحدهم على مقعد في الحديقة حيث رأى نوڤيلا لأول مرة. ناظراً إلى السماء الملبدة بالغيوم، شعر بأن شيء ما قد انتهى، لكنه لم يعرف بعد ماذا كان.

"لقد تركت شيئًا هنا، أليس كذلك؟" تمتم لنفسه، لكنه لم يتوقع جوابًا.

لكن في تلك اللحظة، عندما نظر إلى الزهور المحيطة به، رآها مرة أخرى، واقفة هناك، عند الحافة حيث يلتقي الضوء بالظل. كانت يديها مغطاة بالتراب، وعيناهما تلمعان بحزن لم يستطع تفسيره.

"لا يمكنك أن تدرك حجم الخسارة حتى تفقد شيئًا لا تعلم بوجوده."

وكان كل شيء يتحرك حوله، كما لو كان يراقب مشهدًا في فيلم قد نسي بداية قصته، بينما كان هو نفسه جزءًا منه.

ثم، ببطء، تراجعت إلى الظلال، تاركة خلفها فقط الشعور بأن شيئًا ما قد تغير في داخله.

في صباح اليوم التالي، كانت هناك رسالة، تلميح مكتوب بخطها المائل.

"أنت في طريقك إلى اكتشاف شيء أكثر ظلامًا... لكنك لست مستعدًا له بعد."

وكانت هذه الكلمات، التي تركتها على مكتبه، بداية لحياة جديدة لا يمكنه الهروب منها. شيء غير مرئي كان يلتصق به، ويرافقه أينما ذهب.

"كلما نظرت إليّ، لا ترى سوى ما كنت أنت، لا ما أنا عليه."

مرت الأيام، وأصبح وجود نوڤيلا أكثر إصرارًا. وفي إحدى الأمسيات، وصلته رسالة أخرى، تحتوي فقط على جملة واحدة:

"اعرف أنك تعرفني."

وهنا، بدأ الشك يتسلل إلى قلبه. هل كان هو من اختار أن يراها، أم أن حياته كانت تُكتب بطريقة ما بواسطة يديها؟ ربما كانت مجرد فكرة لم تكتمل، ولكن وجودها كان يتداخل مع واقع كان هو نفسه يشك في حقيقته.

وفي اليوم التالي، ذهب إلى المكان الذي كان يشك أنه سيجد فيه شيئًا آخر غير مألوف. وجد نفسه في الزمان والمكان الذي اختارته نوڤيلا لتكون دائمًا هناك، حيث لا يوجد من يعرف عن وجودها. كان يعتقد أن مفاتيح الإجابة تكمن هناك، ولكنه لم يجد سوى فراغه. الكراسي خالية، السقف مهدم، وكل شيء يبدو وكأنه لم يكن له مكان في هذا العالم.

"هل نحن من نبحث عن الحقيقة، أم هي التي تبحث عنا؟"

قالت جملتها الأولى، ثم توقفت. كل شيء في المكان أصبح غريبًا. لا زهور ولا عشب، ولا أصوات... فقط صمت العدم.

ولكنه شعر بشيء غريب: شيئًا غير متوقع كان يحترق في قلبه. "لقد كنت هنا. في حياتي... في الماضي." قال لنفسه، ولكن الكلمات كانت لا تزال بلا إجابة.

وهكذا، بدأت الأيام تتشوه. أصبحت اللحظات غير ثابتة. أصبح الوقت كالعينين اللتين لا تنظر إليك بشكل متساوٍ. كل يوم كان يبدأ وكأنه فصل جديد، وكل لحظة كانت تحمل معه انعكاسًا غير مرئي لشيء لم يستطع فهمه.

"الزمن ليس خطًا مستقيمًا، بل هو مجرد محاولة لتفسير الفوضى."

أصبحت نوڤيلا كما لو كانت تكتب حياته بتفاصيل دقيقة جدًا، تفاصيل غاب عنها كل من حوله. لكنه كان يحاول أن يقرأ بين السطور التي كانت تسحب منه ما تبقى من يقينه.

ثم جاء اليوم الذي لم يكن يتوقعه. عندما تلقى رسالة أخرى مكتوبة بخط اليد. كان فيها:

"عليك أن تختار، الآن، بين أن تُكمل الطريق مع نفسك... أو أن تموت كما كنت."

كانت تلك اللحظة الفارقة. كان عليه أن يختار. وعندما نظر حوله، اكتشف أن جميع الأشخاص الذين عرفهم في حياته كانوا قد اختفوا، أو ربما هم لم يكونوا هنا أصلًا. لم يكن يعلم ما الذي جعله يشعر بهذه الفوضى، ولكنه كان يعرف شيئًا واحدًا: أن نوڤيلا هي الوحيدة التي جعلت كل شيء يبدو ممكنًا.

"لا شيء مستمر سوى لحظة اليقين، ولحظة الحقيقة ليست سوى خرافة."

في اللحظة التي كان فيها يعتقد أنه فهم شيئًا عن نفسه، ظهر شيء آخر. لا يمكن لأحد أن يتنبأ به. وجود نوڤيلا صار كالتوقيع غير المرئي على حياته، وحين حاول فهمه، شعر وكأنه يكتب في دفتر فارغ. لا هو يتقدم، ولا هو يعود إلى الوراء.

قال:

"هل يوجد بيننا مكان للوجود؟"

ولكن، في اللحظة التالية، اختفت إجابتهم.

"الضياع لا يبدأ من غياب الطريق، بل من لحظة لا تعود فيها متأكدًا أنك كنت تسير أصلًا."

مرّت الليالي ببطء مريب، كأنها تختبر صبر الزمن نفسه. كل شيء أصبح مكررًا ومخيفًا في تكراره، كأنك تعيش المشهد ذاته كل يوم، لكن بوجه مختلف للكارثة. كانت المدينة صامتة بطريقة غير طبيعية، والناس باتوا أكثر شبهًا بالظلال منهم بالبشر. لم يعد يميز بين الحقيقي والوهم، بين ما يشعر به وما يخاف أن يصدقه.

نوڤيلا كانت لا تزال تظهر وتختفي كما اعتادت، لكن ظهورها صار أكثر اقترابًا، كأنها لم تعد تخشى شيئًا، أو كأن ما كانت تنتظره قد اقترب.

"هل سمعتِ عن الزجاج الذي يعكس وجهًا ليس لك؟"

قالها يومًا لصديقه الذي لم يعد يرد، ربما لأنه لم يكن موجودًا من البداية.

كانت الأمور تتفكك داخله، ببطء وهدوء مميت.

"المعنى لا يوجد في الكلام، بل في الفراغ الذي يتركه الكلام خلفه."

سمع صوتها قبل أن يراها. كانت تجلس على حافة سور قديم يطل على مدرسة مهجورة. شعر وكأن الزمن التقط نفسه هناك. كل شيء متوقف، منحنٍ، يراقب من بعيد.

"ما الذي تريدينه؟" سألها، صوته لم يكن أكثر من صدى داخل عقله.

أجابت دون أن تلتفت إليه: "أريد أن ترى، فقط أن ترى."

"أرى ماذا؟"

"ما لم يُكتب بعد... وما كُتب منذ زمن، فيك."

"هل أعرفك؟"

"تعرفني أكثر مما تعرف نفسك. أنا كنت اللحظة التي تركتها تمر... وندمت."

حينها فقط، تذكر شيئًا. لا يعرف ما هو، لكنه شعر بانكماش داخله، كأن ذاكرة انفتحت دون إذنه.

كانت هناك طفلة، أو شابة، تركها تبكي في مكان ما. لا يتذكر لماذا. فقط يرى يديها ترتجفان وهي تكتب على حائط:

"لن أنتظر أحدًا بعدك."

لكنه لم يعرف من كانت.

"هل كنتِ هناك؟"

"كنت كل الأماكن التي تركتها خلفك دون أن تنظر."

ومجدداً، اختفت.

"هناك وجوه نمر بها كل يوم، لا نلاحظها، لكنها تلاحظنا. هذه هي الحقيقة المرعبة."

كان يشعر بأن شيئًا ما يطارده، ليس نوڤيلا نفسها، بل ما تُثيره فيه من ارتباك، من بحث. صار يرى أحلامًا متكررة، فيها غرفة ضيقة بلا نوافذ، فيها جدار يكتب عليه الناس رسائل، لكن الحروف تذوب بعد كتابتها بلحظة.

وكانت دائمًا هناك، واقفة في الزاوية، تقرأ الرسائل، ثم تنظر إليه وتقول:

"أنت كتبتني."

وحين يستيقظ، يجد على وسادته ورقة صغيرة كتب عليها: "البداية حيث تنتهي الذاكرة."

بدأ يبحث عن دليل، عن أي شيء يؤكد أنه لا يهذي. فتش في دفاتره القديمة، في كتبه، في أوراق لم يعد يتذكر كيف كُتبت. وكل مرة، كان يجد الحروف تتغير. كانت الجمل تنقلب. كانت صفحاته تهمس له بأشياء لم يكتبها أبدًا.

"متى آخر مرة كنتَ فيها متأكدًا من نفسك؟"

قالت نوڤيلا، وهي تجلس خلفه في المقعد نفسه الذي كان يجلس فيه كل صباح.

التفت، لكنها لم تكن هناك.

في المرة التالية، قرر أن يواجهها.

انتظرها في نفس الحديقة، عند نفس المقعد، وقت الغروب، حين يبدأ الضوء في التلاشي وتصبح التفاصيل مشوشة.

جاءت.

لكنها لم تكن كما يتذكرها. كانت تحمل ظلًا خلفها، ظلًا أكبر من حجمها، أطول، وكأنها جلبت معها من مكان آخر شخصًا لم يظهر بعد.

"أنا سئمت هذا."

"سئمت ماذا؟"

"الاختفاء، الحيرة، هذا الجنون!"

"أنت من كتب البداية... فاحتمل اللعنة."

"أي لعنة؟"

"أن تعي."

ثم اقتربت منه وقالت بهدوء:

"كل من وعى الحقيقة... لم ينجُ منها."

عندما نظر في عينيها، شعر أن الزمن انكمش وتكثف. رأى نفسه طفلًا، شابًا، رجلاً خائفًا، رأى أماكن لم يزرها من قبل، وجوهًا بكى عليها دون أن يعرف أسماءها.

ثم سمع صوت انفجار داخله. صوت شيء يتكسر.

"من أنا؟" سأل، وصوته كاد لا يُسمع.

"أنت الكتاب الذي لم ينتهِ... وأنا الفصل الذي لم يُكتب."

ثم مدت يدها ولمسته.

استيقظ في مكان غريب.

لا جدران. لا سقف. فقط أرض من الزجاج، وسقف من العتمة. وكان يقف في منتصف شيء لا يعرفه.

وعلى الجدران، كُتبت كل الذكريات التي حاول نسيانها.

كلها.

صوت والده وهو يرحل. دمعة أمه التي لم يسأل عنها. الرسالة التي لم يرسلها. الوجه الذي خانه. القصة التي لم يكتبها. واللحظة التي رأى فيها نوڤيلا لأول مرة.

وكانت هناك، واقفة في الزاوية، تبتسم ابتسامة خفيفة.

"الآن فقط، بدأت قصتك."

"وهل كنتِ حقيقية؟"

"أنا الحبر الذي كتبتك به."

"نحن لا نخاف من النهاية، بل من كوننا مجرد بداية لشخص آخر."

منذ تلك اللحظة، تغيّر كل شيء.

صار يراها في المرايا، في ظل الآخرين، في الحروف التي تظهر في رسائله، في الموسيقى، في الشوارع. لم يعد يعرف ما إذا كانت حقيقة أم خيالًا. لكنه كان يعرف أنها الحقيقة الوحيدة التي شعر بها.

وصار يكتب.

كل يوم.

يكتب عنها، عنه، عنهما، عن شيء غامض لا يفهمه لكنه يعيش فيه.

وفي كل صفحة، كانت تظهر جملة واحدة، متكررة:

"لا تكتب النهاية."

"أحيانًا لا نحتاج إلى باب كي نهرب، فقط إلى جملة لم تُكتب بعد."

الورق صار معبَدًا من أرواح لا تُرى، حروف تتكاثر من اللاشيء وتنبض وكأنها تعرف إلى أين تسير، بينما هو يكتب دون أن يدري إن كانت القصة قصته أم هو مجرد أداة في قصة كُتبت قبله.

كلما حاول إنهاء صفحة، ظهرت جملة في نهايتها لم يكتبها:

"احذر، الحبر لا يغفر."

وفي كل مرة يقرأها، يشعر بشيء في داخله يُسحب منه. إحساس، ذكرى، ملمس، كأن الكتابة صارت طقسًا سحريًا ينزع من ذاته مقابل الكلمات. وكان مستعدًا، لأنه أراد أن يصل. إليها.

إلى نوڤيلا.

كانت تظهر في أحلامه مثل طيف غارق في رماد قديم. أحيانًا تهمس له:

"هل جرّبت أن تُعيد كتابة نفسك؟"

فيجيبها، دون صوت: "أنا لا أعرف نفسي أصلًا."

في اليوم المئة من الكتابة، اختفت الصور من هاتفه، محيت الأرقام، توقفت الساعة عن العمل، ووجد نفسه يسير في شوارع لا تعرفه، رغم أنه مشى فيها عمرًا كاملًا.

"عندما تتغير القصص... الأماكن تتغير أيضًا."

قالت له ذلك بصوتها، رغم أنه لم يرها. فقط شعر بها.

"الذين يقرؤون أنفسهم في الآخرين، لا يعودون كما كانوا."

مرّت الأيام كأنها دوائر لا تنتهي. بدأ يلاحظ وجوهًا تتكرر. بائع الجرائد الذي يبتسم له نفس الابتسامة كل صباح، لكنه لا يتذكر أنه اشتراه أبدًا. الطفلة التي تمسك نفس البالون الأحمر وتختفي عند الزاوية. السيدة العجوز التي تهمس: "احذر الورق... لا يرحم."

وفي كل ليلة، يسمع خربشة في الجدار خلف سريره. وعندما يستيقظ، يجد جملة مكتوبة بقلم حبر أزرق:

"أنت في القصة، لكنك لست الكاتب."

بدأ يشك.

في نفسه.

في الزمن.

في نوڤيلا.

هل كانت حقيقية؟ أم أنها وهمٌ نسجه من خوفه وحنينه؟ أم أنها شيء أعمق، انعكاس لجزء لا يريد أن يراه؟

"أنا لن أكتبكِ بعد الآن."

قالها صارخًا في الفراغ.

لكن القلم كتب رغمًا عنه:

"أنا لا أُكتب، أنا أكتبك."

في إحدى الليالي، حلم بأنه في معرض كتب مهجور. كل الرفوف كانت مليئة بكتب سوداء الغلاف، بلا عناوين. لكنه حين سحب واحدًا منها، وجد اسمه عليه. فتحه. لم يجد كلمات.

فقط مرآة.

وحين نظر في المرآة، رأى نوڤيلا.

"أنت أنا."

قالتها.

"وكل ما خفت منه، كتبته... وأنا كنت كل مخاوفك."

استيقظ وهو يرتجف، يده تمسك بقلم لا يتذكر كيف وصله. وجد دفترًا جديدًا بجواره، مكتوب على أول صفحة فيه:

"ابدأ من البداية، لكن لا تعد نفس الخطأ."

"ليس كل من يكتب، حر. أحيانًا، تكون الكلمات سجنه."

بدأ في كتابة القصة من جديد. هذه المرة، لم يحاول الإمساك بها، لم يُعاند الغموض، فقط سلّم نفسه لما يشعر.

كل مرة يكتب فيها مشهدًا، كان يعيش تفاصيله. كأن النص هو الواقع، والعالم من حوله لا يزيد عن انعكاس.

كتب عن غرفة، فوجد نفسه فيها.

كتب عن باب، فظهر أمامه.

كتب عن فتاة... فدخلت.

كانت هي. نوڤيلا.

لكن عيناها هذه المرة كانتا فارغتين. لا تعبير. لا ماضٍ. فقط مساحة مفتوحة من الحزن.

"ماذا فعلتِ بي؟" سألها.

أجابت دون صوت، وهي تشير إلى قلبه.

وهناك، شعر بالثقل.

كل كلمة كتبها كانت هناك.

كل كذبة، كل رغبة، كل ارتجافة خوف، كل سطر كتبه وهو يظن أنه يتخفّى من ذاته... كان محفورًا فيه.

"أنا أنت... عندما لم يكن أحد غيرك يراك."

بدأ يفقد الإحساس بالحدود. ما بين الصفحة والواقع صار هشًا. الكلمات تهرب من الورق وتتحول إلى تفاصيل في يومه.

كوب الشاي يترك بخارًا يشكّل وجهها.

ظل كرسي يتحرك دون أن يجلس عليه أحد.

أغنية قديمة تأتي من الراديو، كلماتها تصف ما يشعر به الآن بالضبط.

لم يعد يعرف من يكتب من.

وفي مرة، وجد ملاحظة صغيرة على وسادته، مكتوبة بخط لم يعرفه:

"أكمل، فقط عندما تنتهي من الكتابة... نبدأ نحن."

"القصص لا تموت... فقط تُروى بطرق أخرى."

مرّت سنة.

كل يوم، يكتب. لا أحد يقرأ. لا أحد يرد. لكنه يشعر بأن هناك من يراقب.

أحيانًا يسمع خطوات على السلم لا تصل.

أحيانًا يرى ظلًّا خلف الستار لا يتحرك.

أحيانًا، يشعر أن يده تُوجّه، لا تكتب.

"من أنتم؟" سأل الورق.

وجاءه الرد:

"نحن الذين كتبوك أولًا."

وفي لحظة لا يدري كيف حدثت، دخل غرفة لا يعرف من أين ظهرت.

جدرانها مغطاة بصفحات.

كلها من رواية كتبها.

لكن كل نهاية مختلفة.

نهاية يموت فيها.

نهاية يختفي.

نهاية يكتشف أنه كان حلمًا.

نهاية يكتشف أنه نوڤيلا.

كانت هي هناك، تقف أمام أحد الجدران، تقرأ واحدة من النهايات.

"أيّها ستختار؟" سألها.

أجابت: "لا أختار. أنا فقط أنتظر."

"ماذا تنتظرين؟"

"أن تنتهي."

"لا أحد يخرج من روايته سالمًا."

"البعض لا يعود من الحكاية، ليس لأنهم ماتوا... بل لأنهم صاروا جزءًا منها."

لم يعد يعرف كيف كان يبدو من قبل. صورته في المرايا لا تعود إليه دائمًا، أحيانًا يراها، وأحيانًا يراها هي. نوڤيلا.

ومع مرور الأيام، بدأ الخط بينه وبينها يبهت. صار يشكّ: هل هو الذي يكتب عنها، أم هي التي تكتب نفسها من خلاله؟ كلما حاول الهرب من القصّة، تفتحت سطور جديدة في اليوم التالي، وكأن الورق يأبى النهايات.

"النهايات أدوات جبانة."

همست له في الحلم ذات مرة،

"القصص القوية، تبقى بلا نهايات، مثلنا."

كان يكتب. ليس لأنه يريد، بل لأنه مضطر. كل مرة يتوقف، شيء من حياته يختفي.

صوت والدته في الهاتف اختفى.

عنوان بيته تغيّر.

اسمه في البطاقة صار مطموسًا.

حتى الوجوه التي يعرفها، صارت تراه كأنه لم يكن.

"حين تخرج من واقعك، لا تنتظر أن يعترف بك مرة أخرى."

سأل نفسه في صمت: "كم نسخة مني تكتب الآن؟ وكم حياة عليّ أن أعيشها لأفهم هذه القصة؟"

لكن لم يكن هناك رد.

الرد كان صمتًا.

صمتًا يُكتب في الهواء.

صمتًا يُشبه ضحكتها.

ضحكة نوڤيلا.

في أحد الأيام، دخل مكتبة لا يتذكرها، رغم أنها تقع على نفس الطريق الذي يمرّ منه يوميًا.

كانت خافتة الإضاءة، وتفوح منها رائحة ورق قديم ومطر جاف.

على الرف الأخير، وجد كتابًا صغير الحجم، رماديّ اللون، لا عنوان له.

فتحه.

وجد نفسه يقرأ ما كتبه بالأمس.

كل شيء... بنفس الترتيب.

لكن الصفحة الأخيرة لم يكتبها من قبل.

كانت تقول:

"غدًا، ستقابل الكاتب الحقيقي. لا تتكلم كثيرًا. فقط استمع."

خرج من المكتبة دون أن يشتري الكتاب. لكن حين وصل إلى البيت، وجده على مكتبه.

لا أحد يعرف كيف.

"القصص تُحب من يؤمن بها... وتعاقب من يخونها."

في الليلة التالية، استيقظ على صوت خفيف يهمس في أذنه:

"الكاتب وصل."

كان وحده في الغرفة. لكن الظل الذي تمدّد عند الزاوية لم يكن جزءًا من الأثاث.

كان ظلًّا يتحرّك.

اقترب.

لم يتكلم.

لكن حين لمح عينيه، عرف أنه هو... هو الكاتب الآخر. الآخر الذي بدأ القصة منذ البداية، وأضاعها في المنتصف، فصارت نوڤيلا تبحث عن ذاتها في كل من يكتب.

"من أنت؟"

همس بها.

فجاء الرد بصوتين، صوته وصوت آخر:

"أنا من بدأها، وأنت من عليها إنهاؤها."

ثم اختفى الظل.

وبقي هو، وبقيت نوڤيلا.

كل شيء من حوله صار يكتب نفسه.

الجدران تهمس بجمل.

الكتب تفتح على صفحات محددة دون أن يلمسها.

الأصوات التي يسمعها في الخارج تُكمل الحوارات التي بدأها في أوراقه.

حتى حلمه الأخير، كان له عنوان:

"نوڤيلا – الجزء الأخير من نفسك."

أصبح يشعر أن العالم يقرأه، لا العكس.

"لا أحد يكتب من فراغ. نحن نغمس القلم في أرواحنا."

في يوم عادي تمامًا، جلس في مقهى لم يكن يرتاده من قبل، فتح دفتره، وكتب:

"اليوم... سأقابلها للمرة الأخيرة."

وضع القلم جانبًا.

وبعد دقائق، دخلت.

لم يكن يعرف ملامحها، لكنه عرفها فورًا.

كان في وقوفها شيء يشبه القصيدة التي لا تُقال بصوت عالٍ.

في نظرتها ارتجاف اللحظة التي تسبق الانهيار.

جلست أمامه.

لم تقل شيئًا.

ولا هو.

مرت الدقائق كأنها سطر طويل بلا فواصل.

أخيرًا، همست:

"هل فهمتني الآن؟"

لم يجب. لكنه فتح الدفتر، وكتب:

"أنتِ لستِ شخصًا... أنتِ شعور قديم، لم ينتهِ."

ابتسمت.

ووقفت.

وغادرت.

ولم ينظر خلفه.

"المأساة الكبرى، أن تعرف أن القصة لم تكن عنك أبدًا... لكنها مرت من خلالك فقط."

عاد إلى بيته، ولم يجد دفتره.

وجد مرآة.

عليها كُتب:

"القصص لا تُكتب... القصص تُنزَف."

جلس.

لم يحاول استرجاع أي شيء.

لم يبحث عن اسم، أو فصل، أو بداية.

فقط أغلق عينيه، وترك الظلال تكتب ما تبقّى.

"هناك من يأتون في الوقت الخطأ، وهناك من يصنعون الوقت بمجرد وجودهم."

لم يكن صباحًا عاديًا، لكنه بدا كذلك من بعيد. الأشجار تتحرك برفق، والسماء رمادية مبللة بالحنين، والناس يذهبون إلى وجهاتهم بخطى حفظوها عن ظهر قلب. لكن كان هناك شيء في الجو، نغمة خفية لا يسمعها إلا من عبر نقطة اللاعودة.

نوڤيلا كانت تقف على الرصيف، تراقب العالم وكأنها تراه لأول مرة، أو لعلها تراه كما هو حقًا، عاريًا من كل التزييف. كانت عيناها ساكنتين لكنهما تقولان الكثير. كانت ترتدي معطفًا رماديًا، وتحت ذراعها دفتر قديم مغطى بالجلد، مائل إلى السواد. كل من رآها شعر أنه يعرفها، لكنه لم يستطع أن يتذكر من أين.

"في أماكن معينة، يظل الصدى أطول من الصوت."

قالت هذه الجملة لرجل مسن كان يبيع الكتب القديمة عند زاوية الشارع. لم يسألها عن معناها. فقط اكتفى بأن نظر إليها، ثم سلّمها كتابًا دون مقابل. كانت نسخة قديمة من كتاب لا يحمل عنوانًا على الغلاف، لكن

على الصفحة الأولى كانت هناك جملة مكتوبة بخط يدوي: "حين تختلط الذاكرة بالوهم، يبدأ الحلم في كتابة الواقع."

مرّت الأيام، وبدأت الأسئلة تُطرح همسًا بين أولئك الذين التقوا بها أو سمعوا عنها. مَن هي؟ من أين جاءت؟ لماذا تُرى في أماكن متفرقة دون سبب واضح؟ لماذا تترك دائمًا شعورًا بالارتباك؟

شابٌ يُدعى سليم، كان يعاني من الأرق منذ شهور، وجدها ذات ليلة تجلس في المقهى الذي اعتاد أن يقضي فيه ساعات الليل. لم تطلب شيئًا، فقط جلست. وعندما التقت عيناها بعينيه، سألها بصوت مرتجف:

"هل الحلم حقيقة لم تحدث بعد؟"

فأجابته: "أحيانًا، ما نسميه واقعًا هو فقط الحلم الذي اقتنعنا أنه حقيقي."

ومنذ تلك الليلة، اختفى الأرق من حياة سليم، لكنه بدأ يرى أحلامًا لا تشبه أي شيء اختبره من قبل. أحلام فيها ضباب وكلمات لا تُقال، ووجهها، دائمًا وجهها، يبتعد كلما اقترب.

"الذكريات التي لا نملكها، أحيانًا تكون الأصدق."

بدأت المدينة تتغير دون أن يلاحظ أحد. الأماكن المألوفة أصبحت غير مألوفة. الألوان صارت باهتة كأنها مغمورة بالضوء من الداخل. الأصوات تحمل صدى لا ينتمي للحاضر.

كانت نوڤيلا تظهر وتختفي، بلا توقيت، بلا منطق. لكنها كانت دائمًا تترك أثرًا. رسمة على جدار. قصاصة ورق في كتاب. نظرة مطوّلة في مرآة مكسورة.

فتاة تُدعى هالة، تعمل في مكتبة، وجدت ورقة مطوية بين صفحات كتاب قديم. لم تكن مكتوبة بالحبر، بل محفورة على الورق:

"كل الأشياء التي نخاف أن نخسرها، نخسرها بالفعل بمجرد أن نفكر في ذلك."

ومنذ قرأت الجملة، بدأت ترى أشياءً تتحرك على أطراف بصرها. ظلالاً لا تتبع أجسادًا. وبدأت تسمع اسمها يُنادى بصوت يشبه صوتها.

"في عالم مكسور، الصمت هو اللغة الوحيدة الصادقة."

نوڤيلا لم تكن تحكي قصتها، بل كانت تكتب قصص الآخرين بدون أن يعرفوا. قصصًا تُكمل حياتهم. قصصًا تُربكهم وتُعيد ترتيبهم. كانت تعرف

أشياء عنهم لا يعرفونها عن أنفسهم. كأنها كانت هناك في لحظة الولادة، أو لحظة الانكسار الأولى.

"الحقيقة لا تُقال، بل تُلمح. ومن يراها كاملة، لا يعود أبدًا كما كان."

تجرأ البعض على متابعتها. ظنّوا أنهم قادرون على كشف حقيقتها. لكنها كانت تقودهم إلى طرق لا نهاية لها. وكلما ظنّ أحدهم أنه اقترب من فهمها، وجد نفسه غارقًا في نفسه، لا فيها.

رجلٌ عجوز قال مرة:

"إنها ليست شخصًا... إنها مرحلة. من يمر بها، يتغيّر إلى الأبد."

وفي أحد الأيام، وجدوا ساعة الحائط في وسط المدينة وقد توقفت عند الساعة السابعة وسبع دقائق. لا أحد يعرف لماذا. لكن كل من رأى الساعة شعر بشيء يتحرك داخله، كأن هذا التوقيت يحمل شيئًا شخصيًا جدًا.

وعند الساعة نفسها، كل مساء، كانت تُسمع خطوات لا تنتمي لأحد. وكان الظل يطول رغم ثبات الضوء.

"كل لحظة نعيشها، نترك خلفنا نسخة منّا تراقب بصمت."

وهكذا كانت نوڤيلا، تسير في خطٍ لا يراه غيرها، تكتب بلا قلم، وتروي بلا صوت، وتُحب من بعيد، وتتركك دائمًا وأنت تريد أن تسأل شيئًا لكنك لا تجرؤ.

حتى يوم قررت فيه الرحيل.

لم يلاحظ أحد اختفاؤها فورًا. فقط بدأت الفراغات تزداد. الكلام أصبح ناقصًا. الوجوه تنسى تفاصيلها. الذاكرة صارت تشبه الكتب الممزقة.

وبعد أيام، بدأ البعض يتحدث عنها كأنها لم تكن موجودة، كأنها وهم جماعي. لكن آخرين أقسموا أنهم احتفظوا بجملة قالتها لهم، أو بحلم زارهم بوجهها، أو بشعور لا يشبه أي شعور آخر.

وفي أحد دفاتر المدرسة، كُتبت جملة على الهامش:

"حين تنتهي القصة، تبدأ انت"

"الأشياء التي لا نراها، هي التي تغيّرنا في النهاية."

مرت أيام، وربما سنوات، أو مجرد لحظات لم تُحتسب. الوقت فقد معناه، كما فقدت الأماكن أبعادها، وأصبح كل شيء مشوشًا، مثل حلم لم يكتمل بعد.

كانت "نوڤيلا" تظهر ثم تختفي. لا تتكرر في ذات المكان مرتين، ولا تترك نفس الأثر في شخصين. لكن كل من رآها، عرف في داخله أنه لن يكون كما كان بعدها. لم تكن سحرًا، ولم تكن واقعًا، كانت شيئًا ثالثًا. شيئًا لا يتحدث عنه الناس إلا حين ينكسر الصمت.

"كل من رأى نفسه في عينيها، خاف أن يراه الآخرون."

في إحدى الليالي، جلست فتاة على درج مدرسة قديمة، تفتح دفاترها لتراجع ملاحظات لم تكتبها بيدها. لم تتذكر متى بدأت هذه العبارات تظهر بين سطور دروسها، لكنها لم تجرؤ على حذفها. كانت العبارات أشبه بأصوات داخلية مكتوبة بحبر أسود باهت:

"كل من يكذب على نفسه، سيمر بها يومًا." "الحقيقة هي الشيء الوحيد الذي يخاف الجميع من رؤيته."

مرّ بها شاب نحيل، يتوقف ثم يعود، وكأنه نسي شيئًا لا يعرفه. نظر إليها، ثم إلى الدفتر، وقال بهدوء: "أنتِ تكتبين عنها أيضًا؟" لم ترد. فقط رفعت عينيها نحوه، وكأنها سمعته من قبل، في زمن مختلف.

في الغد، لم يحضر. وقالت المعلمة إنه انتقل لمدرسة أخرى، لكن الفتاة وجدت ورقة بين صفحات دفاترها، بخط يده: "الوجوه لا تتكرر، لكنها تتشابه حين نبحث عنهم في غيرهم."

بدأت تظهر صور "نوڤيلا" على الجدران. ليس كرسوم، بل كبقع ظلٍّ تتحرك في الضوء. أحدهم أقسم أنه رآها تنظر إليه من مرآة سيارة متوقفة. وآخر قال إنه سمع صوتها في أغنية قديمة لم يسمعها من قبل.

"الواقع الذي يراك، ليس بالضرورة أن يكون هو الواقع الذي تراه."

في كل مرة تُذكر فيها، كانت تحدث تغييرات صغيرة: أضواء تتذبذب، أصوات تنقطع، قلوب ترتجف لثانية. وكأنها فكرة ترفض أن تُنسى.

شخصان اجتمعا للبحث عنها، قررا أن يتتبعا الأماكن التي قيل إنها ظهرت فيها. سجّلا كل الشهادات، والهمسات، والملاحظات المبعثرة. لكن كل ما توصلا إليه، هو خريطة لا تؤدي إلى مكان، بل إلى لحظات. كل نقطة فيها كانت تمثل زمنًا، وليس موقعًا.

"ربما لا تعيش في مكان، بل في زمن لا نملكه."

في ممر بارد، جلس طفل صغير على الأرض يبكي، ويده تمسك ورقة مرسوم عليها ظل أنثى بدون ملامح. لم يعرف من أين حصل عليها. ولم يعرف أحد من هي. لكنها بقيت.

في مستشفى قديم، كتب مريض في سجلاته: "نوڤيلا زارتني الليلة. لم تقل شيئًا، فقط جلست عند طرف السرير. وفي الصباح، اختفى الألم. وظهرت وردة بيضاء على الوسادة."

بعضهم قال إنها شبح. بعضهم آمن بأنها فكرة متجسدة. وآخرون رأوا فيها خلاصًا غامضًا لا يمكن تفسيره. لكنها لم تكن تسعى لتفسير، بل كانت تترك لكل شخص نسخته الخاصة منها.

"الحقيقة ليست واحدة. بل لكل شخص مرآته التي تعكس ما يخاف أن يراه."

في أحد الأيام، استيقظت فتاة ووجدت اسمها مكتوبًا في دفتر لم تملكه. الصفحة كانت خالية إلا من اسمها بخط لا تعرفه، وتحت الاسم كلمة واحدة: "أنتِ."

مرّت الأيام، وبدأ الناس يتحدثون عنها أكثر، لكن دون يقين. لم يعد أحد يعرف إن كان يتذكر، أم يتخيل. وبدأ السؤال الكبير يظهر:

"هل وُجدت حقًا؟ أم أننا نحن من اخترعناها؟"

لكن الأجوبة لم تكن ضرورية. كانت الرواية مستمرة. قصة تُكتب من خلالهم، وليس عنها فقط. وكان لكل من لمسها جزء فيها، حتى و إن لم يدرك.

في النهاية، حين تقرأ هذه الكلمات، لا تسأل من كتَبها.

اسأل فقط: متى رأيتها أول مرة؟

ولم يكن هناك شيء يمكن أن يُقال بعد ذلك، فقط الصمت، وهو يملك قوة لا يستهان بها حين يحلّ بين شخصين يعرفان أكثر مما يقولان. بقيت نوڤيلا تنظر إلى النافذة، والعالم في الخارج ظل كما هو، غائم، متردد، وكأنه يتهيأ لقول شيء لكنه يتراجع في اللحظة الأخيرة.

"هناك أشياء لا تُقال بالكلمات، بل تُكتب في العيون، وتُترجم في الرجفة الأولى التي لا تفسير لها."

سارت خطواتها بهدوء على الأرض الخشبية القديمة، حتى بدا وكأن البيت كله يتنفس معها. لا أحد كان يجرؤ على مقاطعتها، ولا حتى الوقت. كانت تملك حضورًا يجعل كل ما حولها يتباطأ، يخاف أن يسبقها، أن يسرق منها سحر اللحظة.

كان هناك شاب يجلس في الزاوية، لم يتحدث منذ بداية الأمسية، لكنه لم يرفع عينيه عنها. كأن شيئًا فيه يعرفها، أو يريد أن يعرفها، أو خائف من أن يعرف ما لا يُحتمل.

"أحيانًا، لا نبحث عن الحقيقة، بل نبحث عمّا يؤكد شكوكنا القديمة."

قالت نوڤيلا فجأة، بصوت منخفض، وكأنها لا تخاطب أحدًا بعينه، لكنها طعنت قلبه مباشرة. شعر وكأنها قرأت الرسائل التي لم يكتبها، وسمعت أفكاره قبل أن تمر برأسه. أراد أن يرد، أن يصرخ، لكنه فقط ابتسم. وتلك كانت أول خسارة له.

في تلك المدينة الصغيرة، كان كل شيء يبدو مألوفًا، لكنه ليس كما يجب أن يكون. كأن المكان نفسه يختبرك، يريك نسخًا أخرى من نفسك. المتاجر، الطرقات، وجوه الناس، كلها لها ماضٍ مشترك، لكنه ليس حقيقيًا.

"في أماكن كهذه، لا يُولد أحد بالصدفة. الجميع هنا لأنه يجب أن يكون."

كانوا يرونها أحيانًا تكتب في دفتر صغير، لكن لم يرَ أحدهم ما تكتبه. ولم يجرؤ أحد على السؤال. وكان من المعروف بينهم أن من يقترب أكثر من اللازم، لا يعود كما كان.

في مساء معين، قررت فتاة أن تتبعها. كانت تظن أن في هذا نوعًا من التحدي، أو ربما من الإنقاذ. لكنها لم تكن تعرف أن نوڤيلا لا تترك أثرًا خلفها، بل تُبدّل الطريق نفسه. مشت خلفها حتى وصلت إلى باب لا تعرف أنه موجود في الحي. باب معدني، أسود، لا علامة عليه، لا رقم، لا جرس. لكنه انفتح وحده عندما اقتربت.

دخلت.

ولم تخرج أبدًا.

لكن المدينة لم تنسها، فقط نسيت اسمها. وكلما حاول أحدهم تذكره، شعر بوجع خفيف في منتصف الجبهة، وكأن شيئًا يمنعه من الوصول.

"بعض الأبواب لا تُفتح إلا للذين يملكون سؤالًا حقيقيًا في قلوبهم."

هكذا قالت نوڤيلا يومًا لرجل كان يبحث عن أخته. لم ترد أن تعطيه الأمل، ولا أن تقتل رجاءه. فقط أخبرته بما يكفي ليجعله يستمر، وبما يكفي ليبقى ضائعًا في الوقت نفسه.

مرت الأيام، وأصبح وجودها يشبه الغيوم. لا تلمسها، لا تمسكها، لكنها تغيّر الضوء، وتغيّر الشعور، وتجعلك تتوقف وتفكر دون أن تعرف السبب.

كان هناك بيت قديم في آخر الطريق، يقال إنه بيتها، لكن لا أحد دخل، ولا أحد خرج منه. فقط في الليل، كانت تُضاء نافذة واحدة، ويتسلل منها ظلٌ يشبه امرأة تقرأ بصوت مسموع لنفسها فقط.

"أحيانًا، تقرأ شيئًا فتشعر وكأنه كُتب لك وحدك. وكأن الكاتب عرفك قبل أن تولد."

قال أحد الشبان هذا بعد أن وجد ورقة صغيرة في كتاب استعاره من مكتبة ما.

"الذاكرة لا تُمحى، هي فقط تختبئ."

في الليالي التي لا ينام فيها أحد، تتكلم المدينة. تصدر أنينًا خافتًا، لا يسمعه إلا من فقد شيئًا عزيزًا ولم يجده أبدًا. كانت تلك الليلة من هذا

النوع. الشوارع فارغة، الأرصفة مبللة بندى غريب لا يأتي من المطر. وهو كان يسير ببطء، كمن لا يبحث عن شيء، لكنه في الحقيقة يبحث عن كل شيء.

رآها ثانية.

ليست رؤية كاملة. لم تكن تقف أمامه، لكنها مرّت في ظله، في انعكاس زجاج، في ومضة مرآة خلفية لسيارة متوقفة. هذا يكفي. لم يكن يحتاج أكثر من ذلك ليتأكد أنها هنا، أو هناك، أو حيث لا ينبغي أن تكون.

"الذين لا يُرَون، لا يختفون... فقط يتعلمون كيف يصبحون خلف الصورة."

منذ متى وهو يتتبعها؟ لم يعد يتذكر. الزمن أصبح يتداخل في عقله كالأحلام التي تبدأ في غرفة وتنتهي في غابة، بدون تفسير، بدون منطق. لكنه يعرف شيئًا واحدًا: كلما اقترب منها، ابتعد عن نفسه.

في إحدى دفاتره القديمة، كتب ذات مساء:

"كلما أردت أن أكتب عنها، كتبتني."

هل كانت حقيقية؟ لم يعد يعرف. بعض الأصدقاء قالوا له إنها مجرد وهم. حالة نفسية. لكنه يذكر أن أحدهم رأى أثر خطواتها على درج المبنى. وآخر وجد قصاصة صغيرة على طاولته مكتوب فيها بخط ناعم:

"لا تبحث عني، فقط استعد للعثور على نفسك."

في إحدى الليالي، عاد إلى غرفته فوجد النافذة مفتوحة، رغم أنه يتذكر جيدًا أنه أغلقها. وعلى الوسادة، وردة بنفسجية لا تنمو في موسمه. تحتها، ورقة بيضاء مكتوب عليها سطر واحد فقط:

"كنت هنا، ولا زلت."

الخوف؟ لم يعد يشعر به. ما عاد يعرف ما إذا كان ما يحدث حوله خارقًا للطبيعة أو طبيعيًا بدرجة لا يمكن فهمها، الأشخاص من حوله بدأوا يتغيرون دون أن يلاحظوا هم أنفسهم. كانت عيونهم تلمع لحظة، وتنطفئ في اللحظة التالية. الكلمات التي يتحدثون بها لم تعد تحمل نفس المعاني. صارت العبارات مألوفة أكثر من اللازم، كأنها مسجلة مسبقًا. وفي كل لقاء، كان يشعر بأن هناك شيئًا ناقصًا، غير منطوق، لكن حاضر بشدّة.

"العالم ليس كما يبدو، بل كما نشعر به."

نوڤيلا لم تكن تظهر كثيرًا، لكنها حين تفعل، تُغيّر المكان. كل شيء يصمت. حتى الضوضاء تصبح متفرجة. هي لا تمشي، بل تمر كظل خفيف فوق سطح الذاكرة. لا تبتسم كثيرًا، لكنها حين تبتسم، تشق ندبة في قلبك لا تُشفى بسهولة.

في إحدى المرات، لمحها في مكتبة قديمة، كانت تقلب صفحات كتاب دون عنوان. عندما اقترب، اختفت. لم تترك وراءها إلا رائحة ورق قديم، وكتاب مفتوح على صفحة كتب فيها أحدهم:

"من يبحث عني، فليقرأ بين السطور، لا بينها."

أخذ الكتاب. حمله كمن يحمل خريطة لنفسه. كل كلمة فيه كانت تعنيه. كل جملة كانت تصفه. وكل ما لم يُكتب، كان يصرخ باسمه.

"الحقيقة ليست فيما نراه، بل فيما لا نستطيع الهروب منه."

أراد أن يتحدث عنها، أن يحكي قصته، أن يصرخ بكل ما لم يُفهم. لكنه كلما بدأ، خانته اللغة. كأن نوڤيلا لا تُروى. كأنها ترفض أن تكون موضوعًا لحكاية، لأنها هي الحكاية ذاتها.

مرت الأيام، أو ما بدا كأيام. وفي إحدى ليالي الشتاء، جلس على المقعد الخشبي ذاته في الحديقة. الجو كان بارداً، لكنّه لم يشعر بشيء. كان ينتظرها، دون أن يعترف بذلك.

ثم، ظهرت.

وقفت على بعد خطوات، لم تتحرك. كانت تحدق في السماء، كما تفعل دائمًا، وكأنها تنتظر شيئًا لا يُقال. وعندما نظرت إليه، لم تقل "مرحبًا"، بل قالت:

"كل هذا... حدث من قبل."

هو لم يندهش. كان يعلم. شيء ما بداخله أخبره منذ زمن أن هذه اللحظة ليست جديدة. أن اللقاءات التي لم تحدث قد حدثت في حياة أخرى، في وقتٍ آخر، أو في حلم نُسي.

اقترب منها خطوة. ثم همس:

"هل أنا أختلقك؟"

ابتسمت تلك الابتسامة التي لا تشبه أي شيء. وقالت:

"أنت فقط تسترجعني."

ثم اختفت.

وهنا، بدأ كل شيء يتغير من جديد.

"الذين يختفون لا يرحلون، فقط يتحولون إلى صدى في ذاكرة أحدهم."

مرّت الليالي، ولم تعد الحياة كما كانت. حتى أبسط الأشياء تغيّرت نبرتها. صوت الماء، ضوء المصباح، دقات الساعة... كل شيء بدا وكأنه يهمس بشيء لا يُقال. ولم يكن وحده من شعر بذلك. المدينة كلها بدت وكأنها انزلقت إلى حكاية غير مرئية، مروية بصوت أنثوي لا يُسمع، لكن يُحَس.

كل يوم، كان يجد شيئًا جديدًا يربطه بها. في مرة، كانت ورقة من دفتر مدرسي قديم، عليها اسمها مكتوبًا بخط طفولي. في مرة أخرى، كانت ملاحظة بخطّه، لم يكتبها هو، تقول:

"حين تكتب عن شخص، فأنت تُحاول ألا تنساه. لكن حين يكتبك، فأنت لن تنجو منه."

بدأ يشك أن وجوده نفسه مجرد فكرة في عقلها. وأنه لم يكن يومًا أكثر من صفحة في رواية تكتبها ببطء، بين اللحظة والأخرى. وكلما قرّب بين

صور الماضي والحاضر، وجدها في المنتصف، كأنها العقدة السرّية التي تربط كل شيء.

كان لديه صديق قديم، يُدعى كمال. يعمل في قسم الأرشيف بإحدى المكتبات الكبيرة. قصّ عليه كل ما حدث، وكل ما لم يحدث بعد، فأخذ كمال ينظر إليه طويلاً ثم قال:

"في كتب الألغاز القديمة، هناك ذكر لامرأة تُشبهها. كانت تظهر في القصص، ثم في الحياة، ثم تختفي. سموها (ظلّ الكاتبة). لا أحد يعرف إن كانت شخصًا، أم فكرة، أم لعنة."

ردّ عليه بابتسامة ساخرة:

"وأنا؟ ماذا أكون في هذه الحكاية؟"

أجابه كمال بهدوء:

"أنتَ الحبر الذي تكتب به نوڤيلا."

ضحك، لكنه شعر أن الإجابة لم تكن مجازًا فقط. كانت حقيقية بطريقة مرعبة.

في اليوم التالي، عاد إلى نفس المبنى الذي رأى فيه نوڤيلا، فوجده محروقًا بالكامل. رجال الإطفاء قالوا إن الحريق اندلع قبل أسبوع. لكن هو كان هناك... البارحة. رأى كل شيء، سمعها، كاد يلمسها.

"الزمن ليس طريقًا، بل مرآة. إن التفتّ، وجدت وجهًا آخر لك."

في دفتره المليء بالحبر والخدوش، بدأ يرسم وجوهًا. كلها لها ملامح قريبة منها. وكلما رسم أكثر، ازدادت التفاصيل غرابة. كانت تتغير مع كل سطر، وكأنها كائن يتشكل كل مرة من ذاكرته هو، أو من خوفه.

نام في إحدى الليالي فحلم أنه طفل، تائه في غابة، والليل حوله كثيف. سمع صوتها تدعوه، لكنه لم يستطع أن يرى أين تقف. كلما اقترب، ازداد الضباب. وكلما ركض، خسر شيئًا من جسده. وعندما وصل، لم يجدها. فقط ورقة معلّقة على شجرة، كُتب فيها:

"لكي تجدني، يجب أن تفقد نفسك."

استيقظ وهو يلهث، وعلى وسادته... وردة بنفسجية.

كانت الرسائل تزداد. عبارات تظهر في أماكن لا يمكن أن تكون محض صدفة. على الجدران، على أكواب القهوة، في الأغاني المجهولة، وفي الحوارات العابرة في الشارع.

"لا تخف من الظل، إنه فقط الضوء الذي خسر اتجاهه."

في المساء، قرر أن يعود إلى المدرسة القديمة التي درس فيها. شعر أن شيئًا ما هناك. شيئًا لم يفهمه حين كان صغيرًا. عندما دخل، كانت الممرات صامتة كالمقابر، لكنه سمع خطوات خفيفة. تتقدمه. لم ير أحدًا، لكنه تبع الصوت. كل باب يفتحه، لا يجد فيه سوى صفحة ممزقة، مرسوم عليها عينه هو.

وفي الفصل الأخير في نهاية الممر، وجد لوحًا طباشيريًا مكتوب عليه:

"كل الإجابات التي تريدها... لا تخصك."

لم يكن خائفًا، بل فضوليًا حدّ الألم.

جلس على الأرض، وأغمض عينيه. كان يشعر أنها قريبة. قريبة كنبض. كفكرة قديمة تنبت من داخله.

سمع صوتها في رأسه:

"أنا لا أُخلق، أنا أُستَحضَر."

فتح عينيه، فوجد نفسه في مكان آخر. ليس المدرسة. بل حجرة ضيقة، جدرانها بيضاء، وبابها مغلق من الخارج. أمامه مرآة، لا تعكس وجهه، بل تعكس صورة لفتاة تقف في مكان يشبه غرفته، لكنها ليست هو.

اقترب من المرآة، وهمس:

"أنتِ نوڤيلا؟"

أجابت، من خلف الزجاج:

"أنا أنت حين تكتب بصدق."

ثم اختفت.

تكسّرت المرآة، وتناثر الزجاج على الأرض، لكنه لم ينزف. لم يتأذَ. فقط شعر بأنه أخيرًا بدأ يفهم.

"القصص التي تُكتب بلا وعي... هي التي تكتبنا."

خرج من الغرفة، فوجد نفسه في المدينة مجددًا، لكن ليست مدينته. نفس الشوارع، نعم، لكن بأسماء مختلفة. الوجوه مألوفة، لكنها ليست لمن يعرفهم. وكأن عالمًا آخر بُني على أطلال حياته.

وفي زاوية أحد المقاهي، وجد دفتره على الطاولة. فُتح من تلقاء نفسه، وعلى الصفحة الأولى، كُتب:

"نوڤيلا: الفصل الأخير لم يُكتب بعد."

"الكتابة ليست فعلًا من الماضي، بل امتداد لشيء لم يُخلق بعد."

حين خرج إلى الشارع مجددًا، لم يكن هو. شيء ما فيه تغيّر للأبد. لم يكن يملك اسمًا واضحًا لما يشعر به، لكن كل خطوة كانت تنزلق به نحو هاوية من الإدراك. الزمن حوله كان هشًا، قابلًا للكسر بكلمة أو نظرة. وكل الملامح باتت تشبه بعضها، كأن المدينة صارت نسخة مكررة من حلم لم يستفق منه أحد.

جلس على مقعد حجري في الميدان القديم. المكان صامت، والهواء يشبه الورق المطوي فوق صدره. نظر حوله، فوجد فتاة صغيرة تحدق فيه

من بعيد. عيناها واسعتان، وشعرها مربوط بشريط أحمر باهت. تقدّمت منه بهدوء، وقالت:

"هي قالت لي أدوّرك. قالت إنك نسيت الصفحة الأولى."

"أي صفحة؟"

"اللي فيها أنت. مش هي."

ثم ناولته دفترًا صغيرًا، مغطى بقماش رمادي. فتحه، فوجد سطرًا واحدًا مكتوبًا بخط لم يعرفه:

"حين تنسى من تكون، تبدأ القصّة."

رفع عينيه نحو الطفلة، لكنها اختفت. كما اعتاد.

في تلك اللحظة، سمع صوتًا يأتي من الجهة المقابلة للميدان. موسيقى خافتة، تشبه الأناشيد القديمة، لكنها ليست مفهومة. صوتها كان يأخذ القلب من أطرافه ويرهق الذاكرة. تبع الصوت، حتى وصل إلى بيت صغير، بلا نوافذ، بابه نصف مفتوح.

دفع الباب ببطء، فوجد نفسه في غرفة مظلمة، على جدرانها صور بالأبيض والأسود، جميعها له، ولكن في أزمنة لم يعشها. طفل في شارع

ترابي، شاب على دراجة، رجل مسنّ يكتب في دكّان قديم. وكل صورة كانت موقعة بنفس التوقيع: "نوڤيلا."

همس لنفسه: "هل أنا... قصتها؟"

لكن الإجابة لم تأتِ بصوت. بل برائحة قديمة تسرّبت من الجدران، ودفء غير مفهوم.

اقترب من الصور، فلاحظ واحدة بينها تتحرك. نعم، تتحرك. كانت فتاة تقف على شاطئ، تنظر نحوه، وتبتسم. ثم تكتب شيئًا على الرمل. اقترب أكثر، فقرأ:

"أنا لا أهرب، أنا أختبئ فيك."

في اللحظة التالية، انطفأ كل شيء. الضوء، الصوت، وحتى إحساسه بقدميه.

استيقظ في غرفته. أو هكذا ظن. لكن الجدران كانت تغرق ببطء في حبر أسود، ونافذته تطل على شيء ليس مدينة، بل فضاء فارغ. وجد دفتره بجانبه، ففتحه بارتباك، ليجد ملاحظة تقول:

"كلما كتبت عني، ازددتُ وجودًا."

السطور التالية كانت بخط مختلف. تشبه خطه، لكنها أكثر عمقًا، كأن شخصًا آخر يتكلم نيابة عنه:

"لم أعد أعرف من يكتب من. ربما أنا ظلّ لامرأة تكتبني كل يوم، وربما هي كانت فكرتي الأولى حين قررت أن أهرب من الواقع."

"كل الطرق التي مشيت فيها، كانت تقودني إليها. لكنها لم تكن تنتظرني في نهاية أي طريق، بل في منتصف الضياع."

"في كل مرة أراها، أفقد شيئًا، وأربح سؤالًا جديدًا."

كانت الأيام تمر، لكن الزمن توقف بداخله. صار الناس غرباء أكثر، والأماكن أكثر حيادية، حتى نفسه لم تعد كما يعرفها. كان يُحادث مرآته كما لو كانت نافذة لعالمها، وكانت ترد عليه أحيانًا بجمل ليست له، بل مكتوبة بخط صغير على الزجاج:

"حين تصبح جزءًا من الحكاية، لا يحق لك اختيار نهايتها."

ذات مساء، قرر أن يحرق دفاتره كلها. أراد أن يقطع الصلة. أن يتوقف عن مطاردتها. أن ينسى.

لكن النار لم تلتهم الورق.

كل صفحة أشعلها، كانت تنطفئ وتظهر عليها جملة جديدة، كأنها تكتب نفسها تحت اللهب:

"نهايتك بدايتي. لا تكن أنانيًا."

صرخ، رمى الدفتر أرضًا، وهرب.

ركض طويلًا في الشوارع، وهو لا يعرف إلى أين. كل الأبواب مغلقة، وكل العيون التي يلتقي بها لا ترمش. المدينة أصبحت كأنها ممسرحة بالكامل، والكل يؤدي دوره في مسرحية لم يفهم نصها.

دخل في زقاق ضيق، فوجد حائطًا مغطى بصورها. كلها. بألوان مختلفة، بأعمار مختلفة. عيونها فقط لم تتغير. نفس التحديق. نفس الصمت العميق.

وأسفل الحائط، مكتوب:

"هذه ليست صورًا لها. هذه وجوهك في كل مرة فكّرت فيها بها."

اقترب، ومدّ يده نحو واحدة من الصور، فوجدها دافئة. وكأنها تنبض. نبض خافت، لكنه حقيقي.

في تلك اللحظة، شعر أن الزمن توقّف مجددًا. لكنه لم يُصَب بالدهشة. لم يُصَب بالهلع.

فهم.

"الحقيقة لا تُكتشف فجأة، بل تنبت فيك ببطء حتى تتسلل إلى صوتك."

عاد إلى البيت. وجد كل شيء مظلمًا. كل الأجهزة مغلقة. الكتب مبعثرة. وكل صفحات دفاتره ممزقة، ما عدا واحدة، موضوعة فوق الوسادة. مكتوب فيها:

"إن كنت لا تزال تبحث، فهذه ليست النهاية."

في الليلة التي تلت تلك الصفحة، لم ينم.

جلس أمام مرآته، يحاول أن يتذكر شكله القديم. من كان قبل أن تبدأ نوڤيلا في التسلل إليه؟ من هو حقًا؟ وجهه بدا مألوفًا وغريبًا في آن، كأنه يراه لأول مرة لكنه يعرفه منذ زمن.

"من أنت؟" سأل المرآة.

لكن الإجابة لم تأتِ منه، بل من انعكاسها.

"أنا ما تبقّى منك بعدما عبرتَني."

لم يعد يستطيع التفرقة بين ما يكتبه وما يعيشه، بين الواقع والخيال، بين الحكاية والحقيقة. الكلمات أصبحت طيفًا يعيش فيه، والقصص التي يكتبها لم تعد من صنعه، بل من صنعها هي، كأنها تتحدث عبره.

خرج مجددًا. الشوارع فارغة رغم أن الوقت ليس متأخرًا. كأن العالم قرر أن يمنحه لحظة وحده، ليقرر، ليكتشف، أو لينهار.

أوقفه رجل عجوز أمام بوابة مهجورة، وقال له دون مقدمات:

"اللي بيشوفها، يا إما يلاقي نفسه... يا يضيع فيها."

نظر إليه، وأراد أن يسأله: "هل رأيتها؟"

لكن العجوز أكمل:

"أنا كتبتها قبل ما تولد، ونسيتها قبل ما تموت."

ثم ابتسم كأن في فمه سخرية ميتة، واختفى في الظلّ.

"كتبتها قبل أن تولد؟"

الجملة التصقت بروحه. كأنها تفتح بابًا جديدًا لفهم شيء قديم.

عاد إلى البيت، فوجد دفترًا جديدًا لم يكن موجودًا من قبل. جلده أسود ناعم، وداخله ورق غير مقطّع، بل ممتد كما لو أنه لفافة واحدة طويلة.

وبدأ يقرأ:

"نوڤيلا ليست اسمًا. إنها صوت قديم، فكرة وُلدت قبل أن توجد الحروف، حكاية كانت تُحكى من دون راوٍ، صورة مرّت في عقل أول من حلم."

"الذين يكتبونها لا يعرفونها، لكنهم يشعرون بها تتنفس تحت أصابعهم."

"الذين يبحثون عنها، لا يدركون أنهم لا يبحثون عن فتاة، بل عن انعكاس للفراغ فيهم."

كانت الصفحات تنقلب وحدها، وكأنها تعرف توقيت قلبه، ومتى يجب أن تُظهر الأسرار.

فجأة، توقفت عند صفحة فارغة. لا كلمات. لا رموز. فقط بياض.

وعندما اقترب منها، بدأ البياض ينسحب، ويظهر سطر واحد:

"الصفحة التالية، ستغيّرك."

وتحتها:

"إذا أردت أن تتذكّر من كنت قبلها، لا تقرأ."

لكنه قرأ.

وجد نفسه في مكان لا يعرفه. مدينة من رماد، وأبنية مقلوبة، وساعة متوقفة تشير إلى الخامسة دائمًا. والأصوات، لم تكن أصواتًا، بل صدى أنفاس.

"هل أنا حي؟" سأل نفسه.

وجاءه الرد من صبي صغير كان يرسم دوائر على الأرض:

"أنت لست ميتًا... فقط تُعاد كتابتك."

"ومن يعيد كتابتي؟"

"هي. دايمًا هي."

ثم أشار نحو مبنى بعيد، لا نافذة فيه، ولا باب.

"هناك تبدأ... وهناك تنتهي."

مشى نحوه، وكل خطوة كانت تسرق منه شيئًا. ذكرى. رائحة. لون. حتى اسمه شعر أنه يذوب منه.

وحين اقترب، سمع صوتها لأول مرة.

لم تكن تتحدث، بل تهمس. همسها يدخل القلب كريح باردة، يوقظ ما كان نائمًا.

"أنتَ كتبتني حين أردت الهروب. فهل تهرب الآن من نفسك؟"

"أنا لا أهرب..."

"بل تخاف أن أكون أكثر منك. أن أكون أنت."

فتح عينيه، فوجد نفسه جالسًا أمام الورق، والقلم في يده، والنافذة نصف مفتوحة.

هل نام؟ هل حلم؟ أم أن كل ما يحدث ما زال مستمرًا؟

نفس الورق. نفس الجملة التي تكررت ألف مرة:

"حين تكتبني، لا تكتب نهايتي."

قام من مكانه، وذهب إلى الغرفة التي كان يغلقها دائمًا. لم يفتحها منذ سنوات. كانت تخصّ والدته.

وحين دخل، شمّ رائحتها القديمة. وجد ألبومات الصور، وصندوق الذكريات، ودفتر قديم بغلاف أزرق.

فتح الدفتر.

الصفحة الأولى فيها رسم بسيط لوجه فتاة... نفس ملامح نوڤيلا.

أسفلها مكتوب:

"لو لم أنجبها، لاخترعتها."

كانت تلك جملة والدته. هل كانت تعرف؟ هل كانت تكتبها أيضًا؟ هل نوڤيلا شيء يورّث؟

"هل هي لعنة أم رسالة؟"

في الصفحة التالية، وجد صورة له، وهو طفل صغير، يمسك يد فتاة. لكنها لم تكن أختًا، ولا قريبة. وكانت تبتسم، ونفس الشريط الرمادي في شعرها، ونفس النظرة.

كانت هي.

نفسها.

"منذ متى وهي موجودة؟"

صفحات الدفتر بدأت تتحرك بفعل الريح، ثم توقفت عند صفحة في المنتصف، مكتوب فيها:

"حين كنتَ في الخامسة، قلتَ لها: لا تذهبي. فوعدتك أن تعود حين تكتبها."

الذاكرة انفجرت بداخله كوميض قديم. تذكر الشريط. الابتسامة. وحتى غنائها وهي تمشي. تذكر وعدًا لا معنى له، لكنه انتظر تحققه طوال عمره.

"كل ده... كان من البداية؟"

بدأ يرتجف. كل شيء صار له طعم آخر. صار هو، ليس هو.

في المساء، كتب آخر جملة قبل أن يترك قلمه:

"أنا لست الكاتب... أنا ما كُتب."

في الليلة التالية، اختفت الحروف من الورق.

نعم، ببساطة، استيقظ ووجد الأوراق التي كتبها بيضاء تمامًا. بلا أثر، بلا حبر، كأن كل ما كتبه كان حلمًا لا أكثر.

أمسك الدفتر، قلبه بعنف، قلبه برجاء، لكن لا شيء.

"حين تظن أنك أمسكت بالحقيقة، تتبخر بين أصابعك."

لم يكن هذا صوته، بل صوتها.

كانت خلفه، لا يرى ظلها، لا يشعر بخطواتها، لكنه يعرف أنها هناك. دائمًا هناك.

"أين ذهبت كلماتي؟"

ردّت بهدوء: "أنت كتبتها لي، وأنا استرددتها."

"لكنها قصتي."

"بل قصتي أنا... أنت فقط كنت الوعاء."

جلس على الأرض، شعر بأن عقله يتمدد، يتفتت، يعيد تشكيل نفسه.

"هل كنتَ تتخيّل أن تكتبني وتنجو؟"

"من يكتبني، يُعيد نفسه إلى العدم."

حاول أن يصرخ، لكن صوته اختنق بداخله. ظلّ يحدّق في الورق الأبيض، وتحت الإضاءة الخافتة، بدأ يرى الكلمات تعود، لكنها ليست كما كتبها.

ليست بخطه.

كانت كلمات جديدة، لكنها مكتوبة بلغة روحه. حروفه. مشاعره. لكنها تحكي شيئًا لم يكتبه قط.

"في الليلة التي اختفت فيها، كان قد خسر اسمه. من لا يملك اسمًا، لا يستطيع أن يوجد."

"هل أخذتِ اسمي؟" همس.

"لا، أنت من محوته حين كتبتني."

في المرآة المقابلة، لم يرَ وجهه. لم يرَ شيئًا.

المرآة أصبحت بابًا مفتوحًا على لا مكان.

"ادخل."

سمع الكلمة تخرج من داخل المرآة.

اقترب.

"أنا لا أريد أن أضيع." قال.

"لكن الضياع ليس اختيارًا هنا."

ومرّ.

داخل المرآة، لم يكن هناك ضوء ولا ظلام. لا أرض ولا سماء. كان هناك فقط صدى.

صدى لأصوات كثيرة. صوته. صوتها. أصوات أطفال يبكون، نساء يضحكن، رجال يهمسون بالحقيقة وكأنهم يخافون منها.

وفجأة، ظهروا.

وجوه. كثيرة. وكلها وجهه. لكن بأعمار مختلفة، ومشاعر مختلفة. رأى نفسه طفلًا يبكي في حضنها، ورآها تحتضنه.

"هل كنتِ أمي؟"

"كنتُ كل من منحك دفء ثم اختفى."

ثم رأى نفسه شابًا، يكتب، ويحترق. ثم رجلاً عجوزًا، يقرأ من ورق يحترق فيه اسمه.

كل نسخة منه كانت تعيش نهايات لم يخترها.

"ما أنا؟" سأل نفسه.

وجاء الرد من فمه، لكن صوته لم يكن له:

"أنت إعادة كتابة، لا أكثر."

ثم خرج من المرآة، ليجد نفسه في شارعٍ لا يعرفه.

كل الملامح مألوفة، لكنها مشوّهة. كأن المكان يتذكّر نفسه بشكل خاطئ.

الناس بلا أعين. الأبواب تُفتح إلى الداخل فقط. الشمس لا تطلع، فقط تغرب.

وفي منتصف الشارع، كانت تقف هي.

ترتدي فستانًا رماديًا طويلًا، شعرها منسدل، ويديها خلف ظهرها.

قالت دون أن تنظر إليه:

"ما زلت تظن أن هذه رواية؟"

اقترب منها.

"إن لم تكن رواية... فما هي؟"

"محاولة... لاستعادة شيء لم يعد موجودًا."

"وما هو؟"

"أنت."

لم يفهم. لكنه شعر بكلمتها تضرب داخله كجدار من هواء كثيف.

اقترب أكثر.

"لماذا اخترتِني؟"

التفتت إليه ببطء. عينها كانت مظلمة، ليس سوادًا عاديًا، بل فراغًا يسحب النظر.

"أنا لم أخترك. أنت من فتحت الباب وكتبني."

"متى؟"

"حين فقدت القدرة على تذكر من أنت، قررتَ أن تخترعني."

"وأنا..."

"كنت وهمًا صغيرًا في عقل يتألم."

ثم همست:

"كل شخصية تكتبها، تأخذ قطعة منك. لكن أنا أخذتك بالكامل."

شعر بدمه يتجمد.

"وهل يمكن استرجاعي؟"

"لا. لكن يمكنك أن تكون شيئًا آخر."

"ماذا؟"

"راوي."

"راوي ماذا؟"

"النسيان."

وفي تلك اللحظة، اختفت.

كأنها لم تكن.

عاد الورق ليكون فارغًا، لكن في أعماقه لم يكن كذلك.

كان يحوي كل ما لم يُكتب، كل ما لم يُقال، كل ما لم يُفهم.

جلس أمامه، وبدأ يكتب.

هذه المرة، ليس عنها.

بل عن نفسه.

كتب:

"حين تفقد كل شيء، لا تكتب لتسترجعه، بل لتفهم لماذا فقدته."

وبينما كان يكتب، سمع همسة خافتة خلفه:

"أحسنت، لقد كتبت نفسك."

ابتسم، دون أن يلتفت.

ثم كتب آخر جملة في تلك الصفحة:

"نوڤيلا كانت بوابة... وأنا أخيرًا خرجت منها."

في الأيام التالية، تتابعت الأحداث كما لو كانت نغمة موسيقية غريبة، تقاطع الأوقات وتتداخل الأماكن. كل شيء بدا وكأنه يعيش في نفس اللحظة. كان هذا الشعور غريبًا بالنسبة له، فقد اعتاد أن يفصل بين الماضي والحاضر، بين الحلم والواقع، لكنه الآن في مكان يشبه كل شيء ولا يشبه شيئًا في آن واحد.

جلس في الزاوية المظلمة للغرفة، يكتب كعادته، لكن الكتابة كانت تتحول إلى شيء آخر. الحروف لم تكن كما كانت من قبل. كانت تنزلق تحت أصابعه كأنها تذوب في الضوء. الجمل التي يكتبها لا تكتمل أبدًا، لكنها تنطوي على شيء غير مرئي، شيء بعيد، شيء يطالعه فقط من ينظر إليه بشكل مختلف.

"الكلمات التي نكتبها، تصبح هي من تكتبنا."

استعاد هذه الجملة التي قالها ذات يوم، وهو يبتسم بطريقة غير مألوفة. نعم، كانت الكلمات هي من تكتبنا. ليس العكس.

ورغم أن المدة التي مرّت منذ أن اختفت "نوڤيلا" كانت طويلة، فإن قلبه كان ينبض بشدة كلما تذكر وجودها، حتى و إن كان في صورة ضبابية. ما

يزال يفكر في اللحظة التي التقاها فيها للمرة الأولى. كأن كل شيء بدأ هناك، في تلك اللحظة البسيطة التي جمعته بها.

لم يكن يفهم لماذا شعر بالارتياح في غيابها، وكيف كانت كلماتها تتسلل إلى روحه وكأنها جزء منه. لكنه لم يستطع الهروب من الحقيقة. كان جزءًا منها، وكان جزءًا من عالمها. وكلما حاول الابتعاد، شعر وكأن أقدامه كانت تثبت أكثر في مكانه.

"أنتَ الوحيد الذي يكتبني الآن، ولكن... هل تعرف ماذا تكتب؟"

كان الصوت يأتي من كل اتجاه، كانه يحيط به، يُغلّفه، ويغمض عينيه في آن واحد. لم يستطع أن يحدد مصدره. لكن كلماته كانت تلمس شيئًا بداخله.

"أكتب شيئًا لا أعرفه، شيء يجذبني ولا أستطيع الهروب منه." قال، وهو يواصل الكتابة.

وفجأة، اختفت الكلمات من الورقة، تمامًا كما حدث من قبل.

"أين ذهبت الكلمات؟" همس لنفسه.

"الكلمات التي تُفقد، هي نفسها التي تُكتشف."

لكنه شعر بشيء غريب، شيء يوشك على التحرك خلفه. أدار رأسه بسرعة، لكنه لم يرَ أحدًا.

"هل كنتِ هنا؟" سأل بصوت منخفض.

لكنها لم تجب.

في تلك اللحظة، شعر بشيء ثقيل في قلبه. كأن الغرفة تتقلص من حوله، والهواء يصبح أكثر كثافة. كانت الجدران تبدأ في التحرك، كما لو أنها كانت تتنفس. لا شيء كان ثابتًا.

"الأشياء لا تبقى على حالها. تتغير كما تتغير أفكارنا."

أخذ نفسًا عميقًا، محاولًا التركيز، لكن عقله كان في حالة من الفوضى. كل شيء حوله يتداخل. الزمن يتراجع إلى الوراء، ويتقدم إلى الأمام في نفس الوقت.

"أريد أن أفهم."

وأغمض عينيه لحظة.

عندما فتحهما مجددًا، وجد نفسه في مكان آخر.

كان يقف في شرفة تطل على مدينة كاملة، لكن المدينة لم تكن كأي مدينة أخرى. كانت مليئة بالظلال التي لا تأتي من أي مصدر ضوء، وكان الليل يغطي السماء رغم وضوح النهار. كانت الأضواء تحترق، لكنها لا تضيء.

"أين أنا؟"

"في المكان الذي لا يجب أن تكون فيه."

كانت هذه الإجابة غير متوقعة. صوتها كان يخرج من بين الظلال.

"أنتِ... أين أنتِ؟" قال، لكن صوته ضاع وسط الفوضى التي بدأت تتشكل أمامه.

"أنت هنا لأنك اخترت أن تكون هنا." أجابت.

"ماذا اخترت؟"

"اخترت أن ترى الأشياء كما هي، لا كما تريدها أن تكون." قالت بهدوء.

وحين نظر إليها، لم يجد سوى ضباب، كان يختفي كلما اقترب منه. لكن رغم ذلك، كانت الكلمات التي قالتها تظل معلقة في الهواء، تملأ كل زاوية من عقله.

"الحقيقة لا تأتيك حين تبحث عنها، بل تأتيك حين تكون جاهزًا لاستقبالها."

ثم اختفت، كما لو أنها لم تكن موجودة أصلاً.

لكن قلبه كان يشعر بشيء مختلف. شعور غريب من الحيرة واليقين معًا. كان قد اكتشف شيئًا، شيئًا كبيرًا، لكنه لم يعرف بعد كيف يواجهه.

جلس في مكانه، وقد أدرك أنه ربما لا يحتاج إلى تفسير كل شيء. ربما كان عليه أن يترك الأمور كما هي. لا مفر من الغموض. لا مفر من اللايقين.

"في النهاية، الحقيقة هي سر لا يمكن حلّه."

كانت تلك آخر الكلمات التي كتبها، وعندما قرأها، شعر وكأن شيئًا في قلبه قد اكتمل.

لكنه لم يعرف إن كان قد فُتح الباب، أم أنه أغلقه إلى الأبد.

جلس على طرف المقعد، يراقب السماء التي لم تعد كما يعرفها. النجوم كانت تتحرك ببطء، كأنها تهمس لبعضها بلغات قديمة، لا تنتمي لهذا العالم. الليل لم يكن مظلمًا بالكامل، بل مُضاء بنوع غريب من الضوء الرمادي، وكأن الغموض نفسه قد اتخذ شكلاً مرئيًا.

قال لنفسه:

"كل شيء أصبح مألوفًا بطريقة غريبة، كأنني عشت هذا الحلم من قبل."

لكن نوڤيلا لم تكن هناك.

لا صوت خطواتها، لا ظلّ عبورها، لا الكلمات التي كانت تشبه المطر في ظهيرة صيفية. غابت. لكن آثارها لا تزال تتنفس في المكان.

كان يكتب، ليس لأنه يملك ما يقول، بل لأن القلم وحده كان يربطه بالواقع. كل كلمة تُكتب كانت تربطه أكثر بخيط خفي، كأن الرواية تكتب نفسها، وهو مجرد يد تسمح لها أن تتنفس.

"الحكايات لا تبدأ حين نكتبها، بل حين تقرر هي أن تُقال."

سمع الجملة كأنها نُسجت من صدى داخله. تنهد، ثم كتبها على الورقة، شعر بشيء داخله يستقر للحظة، ثم يعاود الاضطراب.

في مرآة الغرفة، لم يرَ انعكاسه كما يعرفه. كان الشخص في الداخل يشبهه، لكنه لم يكن هو. كان شاحب العينين، مبتسمًا بشكل باهت، وتاركًا خلفه ظلًا آخر، أطول منه، يتحرك ببطء.

اقترب من المرآة ببطء، تمعن في صورته، ثم همس:

"من تكون؟"

لكن لا إجابة.

وفجأة، ظهر بخار على سطح الزجاج، وكتب عليه بخط رقيق:

"أنت من كتبتني، والآن... أنا من أكتبك."

ارتجف قلبه، لكنه لم يهرب. لم يكن خائفًا، بل متورطًا.

أخذ المرآة بين يديه، وأدارها للوراء... لكن الوجه ظل ظاهرًا.

كأن الانعكاسات لم تعد تلتزم بالقوانين.

كأن "نوڤيلا" بدأت في كتابة عالمها الجديد.

في اليومِ التالي، وجد نفسه في مكان لا يعرفه. شوارع ضبابية، مباني طويلة بلا نوافذ، والناس يتحركون دون ملامح واضحة. كانوا يمرون بجانبه دون أن يلمسوه، كأن بينهم وبينه حاجز من زجاج.

اقترب من إحدى النوافذ الزجاجية للمبنى، فوجد وجوهًا تنظر إليه من الداخل. كانت كلها تعرفه. وجوه لم يرَها من قبل، لكنها كانت تبتسم له كأنها تنتظر عودته منذ قرون.

"حين تُفتَح الأبواب التي لا ينبغي فتحها، لا تعود كما كنت أبدًا."

سمع الجملة من خلفه، وعندما التفت، وجد فتاة تشبه نوڤيلا... لكنها ليست هي تمامًا.

نفس الملامح، نفس السكون، نفس العينين... لكن داخلها شيء آخر. شيء أكثر ظلمة، أكثر هدوءًا.

سألها:

"هل أنتِ هي؟"

قالت:

"أنا الظل الذي تركته خلفك حين كتبتها أول مرة."

"لكنني لم أكتب نهاية بعد."

"بالضبط... ولهذا لا يمكنك الهروب."

ابتسمت، ثم مشت مبتعدة، تاركة أثرًا من رماد الكلمات في الهواء.

وقف مكانه، ثم مد يده ليجمع بعض هذا الرماد، فوجده يتحول إلى حروف، إلى جمل، إلى فقرات لم يكتبها من قبل.

"ما نعتقد أننا نكتبه، هو في الحقيقة من يكتبنا سرًا."

بدأ يتساءل: هل هذه الرواية حقيقية؟ أم أنه بطل في قصة لم يُدرك أنه دخلها منذ البداية؟ هل نوڤيلا كانت شخصية اخترعها، أم كانت هي من اخترعته؟

في تلك الليلة، حلم بأنه يمشي في مدينة تشبه الكتب القديمة. كل حائط فيها كان صفحة، وكل طريق فصل من قصة. وكان هناك صوت خافت يقرأ في الخلفية، يردد كل ما يشعر به، يصف كل حركة، كل صمت، كل خفقة قلب.

"متى دخلت هذا الحلم؟" سأل نفسه.

"حين توقفت عن تمييز الحلم من الحقيقة." جاءه الرد.

استيقظ فزعًا، ووجد دفتره مفتوحًا على صفحة جديدة كُتب فيها:

"الحقيقة ليست أن تستيقظ من الحلم، بل أن تعرف أنك كنت تحلم منذ البداية."

نظر إلى ساعته، فلم يجد عقارب. الوقت توقف. الضوء يتسلل من الشباك، لكنه ليس ضوء صباح. كان ضوءًا رماديًا، بلا دفء، بلا اتجاه.

فتح النافذة، فرأى المدينة التي حلم بها. نفسها. نفس التفاصيل. نفس الصمت الممتد في كل مكان.

"هل أنا داخل القصة الآن؟"

لكن لا جواب.

تذكر كلمات نوڤيلا ذات مرة:

"أخطر ما في الكتابة، أن تغوص فيها حتى لا تعرف طريق العودة."

بدأت الأصوات تتكرر في رأسه. أصوات لأناس لا يراهم. بعضهم يناديه، وبعضهم يهمس بكلمات غير مفهومة. وبعضهم فقط يتنفس.

فتح الدرج القديم، فوجد ورقة مطوية. وعليها نفس الخط:

"حين تصل إلى منتصف القصة، لا يمكنك التراجع. إما أن تكمل حتى النهاية، أو تبقى هناك إلى الأبد."

ارتعش قلبه.

بدأ يشعر أن حياته كلها لم تكن سوى تمهيد لهذه اللحظة. أن كل شيء عاشه كان يهيّئه لهذا الدور.

أصبح يخاف من النهايات، لكنه يخشاها أقل من أن يبقى عالقًا في المنتصف.

"سأكمل." قالها بصوت مرتجف، لكنه ثابت.

جلس، وأمسك القلم، وبدأ يكتب مجددًا.

لكن الكلمات الآن لم تكن ملكه. كانت تسيل من قلبه كأنها دم.

وفي كل سطر، كانت نوڤيلا تقترب أكثر.

استمر القلم ينساب عبر الصفحة، الكلمات تكشف سرًا لم يكن يعرفه من قبل، حكاية كانت مخفية بين طيات الزمان، متشابكة مع وجوده، ممزوجة

بذاكرة لا تخصه بالكامل. هو، الذي ظن أن القصة ملكه، بدأ يشعر بأنها تمتلكه أكثر مما يمتلكها.

"الأماكن التي نذهب إليها ليست فقط أماكن... هي بوابات إلى عوالم لم نكن نعلم بوجودها."

في كل سطر كتبَه، كان العالم يتغير من حوله، تفاصيل تذوب، أشخاص يظهرون ويختفون، وأصوات تعلو من بين الحروف.

كانت نوڤيلا تمشي بين السطور، تهمس بأسرار لا يفهمها سوى القليل، تحاول أن تخبره أن النهاية ليست ما يبحث عنه، بل الرحلة التي تسبقها.

قالت له بصوت خافت كنسمة:

"لا تدع الخوف يوقفك... الحقيقة أعمق من أن تُقال بكلمات."

أثناء الكتابة، بدأت الذاكرة تتداعى بشكل غريب، صور متفرقة تلوح له من الماضي، ليست له بالضبط، لكنها تشبهه، كأنه يشارك حياة أخرى، حياة تداخلت مع قصته.

رأى وجه امرأة في حلمه، عيناها تحملان أسرار الليل كله. كانت تقول له:

"كل من كتبنا نحن، ما نحن إلا صدى لأحلامهم الضائعة."

استيقظ على صوت الباب يُطرق برفق. فتح ليجد رسالة صغيرة على الطاولة. لم تكن مكتوبة بحبر، بل بخط من نور. الكلمات تقول:

"الطريق يبدأ حيث تنتهي الكتابة."

لم يستطع تفسير الرسالة، لكنه شعر بأنها مفتاح.

خرج من غرفته، واتجه نحو الشارع الذي بدا كأنه جزء من عالم آخر، حيث كل خطوة كانت تأخذه إلى مكان لا يعرفه، لكنه كان مألوفًا له.

رأى أشخاصًا يرتدون ملابس قديمة، يتحدثون بلغات نادرة، يرمقونه بنظرات تحمل حكمة عمرها قرون.

توقف أمام نافذة محل قديم، ورأى كتابًا مغلقًا، عنوانه "نوڤيلا"، بنفس الخط الذي كتب به قصته.

دفع الباب ودخل، فوجد البائع الذي بدا وكأنه يعرف كل شيء عن حياته، رغم أنه لم يره من قبل.

قال البائع بابتسامة:

"القصص ليست مجرد كلمات، إنها أرواح تُحكى وتُعاش."

"هل يمكنني أن أجد نهاية قصتي هنا؟" سأل.

أجابه البائع:

"النهايات ليست ما تحتاجه، بل الفهم. أن تعرف أنك جزء من شيء أكبر."

في تلك اللحظة، بدأ يسمع صدى ضحكات نوڤيلا، تأتي من الزوايا المظلمة للمكتبة.

تنهد، وأدرك أن الرحلة لم تنتهِ، بل بدأت.

القصص لا تموت، بل تتحول إلى نوافذ نطل منها على ما وراء الحقيقة."

لم يكن يدرك متى بدأت الحدود بين الحقيقة والخيال تتلاشى، لكن شيئًا ما كان يحدث بداخله، كأنه يغرق في بحر من الذاكرة المنسية، حيث الموجة تحمل أسرارًا لا يستطيع الوصول إليها، ولا حتى فهمها بالكامل. كل خطوة يخطوها كانت تقربه من شيء أكبر، شيء لم يكن يتوقعه.

الشارع الذي كان يسير فيه أصبح مليئًا بالظلال التي تتحرك بصمت، كأنها تمثل أجزاء من قصة لم تُروَ بعد. لم يكن يعرف إن كان هذا عالمه أم مجرد حلم يقوده نحو مصير مجهول.

اقترب من حافة الرصيف، حيث تقف امرأة ترتدي ثوبًا بسيطًا، عينيها تلمعان كأنهما يحملان نور النجوم كلها. كانت نوڤيلا أمامه، أو ربما كانت صورة من خياله، لكنه لم يجرؤ على التفريق بين الواقع والخيال.

نظرت إليه وقالت بصوت متهدج لكنه حازم:

"كل شيء يبدأ بلحظة واحدة... لحظة تقرر فيها أن تكون أكثر من مجرد ظل."

"هل أنت حقًا تعرف من أنت؟" سألها وهو يحاول أن يجد في عينيها إجابة.

ابتسمت ابتسامة لا يمكن تفسيرها وقالت:

"الأسماء لا تهم، لا حتى الوجوه. المهم هو القصة التي تختار أن تعيشها."

كانت كلماتها كالرياح التي تهب على صفحة مفتوحة، تحرك كل شيء، تثير الغبار، وتكشف ما كان مخفيًا.

وفي تلك اللحظة، شعر بشيء غريب في داخله، كأن كتابه القديم الذي كتبه يدعوه لفتح صفحة جديدة، صفحة لم يبدأها من قبل.

"الماضي ليس إلا بداية، وليس نهاية." همست نوڤيلا.

"لكن هل يمكنني الهروب من ماضيّ؟" سأل.

"الهروب؟ لا. لكن يمكنك أن تعيد كتابة ما بدا كأنه مصير مكتوب."

مع هذه الكلمات، بدأ الهواء يتغير من حوله، وبدت المدينة وكأنها تستيقظ من سباتها، تحكي له قصصًا لم يسمعها من قبل.

"القصص الحقيقية لا تُروى فقط بالكلمات، بل تُعاش بكل حواسنا."

كانت هذه الجملة الأخيرة التي سمعها قبل أن تغيب نوڤيلا كأنها لم تكن سوى وهم، لكنها تركت خلفها أثرًا لا يمحى.

أدرك أنه لم يعد وحده في رحلته، وأن هناك قوى أعمق تتحرك في الظل، تحاول أن تدفعه نحو الحقيقة، مهما كانت مُرّة أو جميلة.

"أحيانًا، تكون الحقيقة مجرد ظل يُطاردنا لنكتشف أنفسنا من خلاله"

كل شيء حوله بدأ يتغير ببطء، كما لو أن المدينة نفسها تتنفس، تتنفس حكاياتها وأسرارها المخفية. كانت الأصوات تتلاشى وتتداخل، وصدى خطواته يتردد في الممرات الضيقة التي لم يكن يعرفها من قبل. المجهول كان يحيط به، لكنه لم يعد يخافه، بل استقبله كرفيق قديم.

في زقاق مظلم، حيث كانت الجدران مغطاة برسومات تروي حكايات من زمن بعيد، وجد نفسه يواجه مرآة كبيرة، لكنها لم تعكس صورته، بل أظهرت له مشاهد لم يعشها، لحظات مألوفة وغريبة في آن واحد. رأى وجوهًا لا يعرفها، أماكن لم يزرها، وكتبًا تُفتح من دون أن يمسها أحد.

"الحياة ليست سوى مرايا... تعكس من نكون، لكنها لا تكشف كل شيء."

وقف أمام المرآة وهو يشعر بأن شيئًا عميقًا ينتظره خلفها، شيء لن يجده في أي مكان آخر. كانت نوڤيلا دائمًا تهمس له بعبارات لا يفهمها إلا بعد مرور الزمن.

"لا تبحث عن النهاية... بل عِش السؤال."

وفي تلك اللحظة، ظهر رجل مسن، ملامحه تتسم بالحكمة والأسرار، وعيناه تحملان عمق الزمن كله. مد يده نحو الكتاب الذي كان بيده، وقال:

"كل قصة تحمل مفتاحها الخاص، لكن المفتاح الحقيقي هو القدرة على الفهم."

لم يستطع أن يرد، لكنه شعر بثقل الكلمات يغمر قلبه، وكأنها تدعوه لتخطي حدود المعرفة المألوفة، نحو عالم حيث لا توجد حدود بين الحقيقة والخيال.

بينما كان يحاول أن يستوعب ما يحدث، بدأت أشياء في المدينة تشتعل بنور خافت، وشوارع لم يرها من قبل تنفتح أمامه كأنها بوابات إلى عوالم أخرى. لم يكن يعرف إن كان حلمًا أم حقيقة، لكنه أدرك أن كل خطوة تخطوها كانت جزءًا من كتابة قصته، تلك القصة التي لم تكن ملكه فقط، بل لكل من عاش أو سيعيش.

قالت نوڤيلا بصوت خافت، وكأنها تأتي من بعيد جدًا:

"أنت جزء من قصة أكبر من الكلمات، من الظلال التي تراها، ومن الضوء الذي يختفي في أعمق الأعماق."

"هل سأجد السلام؟" سألها وهو يشعر بثقل الوحدة يضغط على صدره.

ابتسمت وقالت:

"السلام ليس مكانًا، بل حالة... حالة من الفهم والقبول."

مع كل كلمة، كان يشعر بأن الحكاية تتفتح كزهرة نادرة، مليئة بالأسرار التي لا يريد أحد أن يعرفها، لكنه هو وحده مُكلف بها.

بدأ القلم يتحرك مرة أخرى، الكلمات تنساب كالنهر، تحكي عن حياة لم تُعاش، عن ذكريات لا تخصه، وعن حقائق مختبئة خلف ستار الواقع.

"في نهاية المطاف، لا شيء يموت حقًا... كل شيء يتحول إلى قصة تُروى."

كانت هذه كلمات محفورة في ذاكرته، تذكرها كأنها وعد، أو تحذير.

وفي تلك اللحظة، فهم أن رحلته لم تكن إلا بداية لفصل جديد، فصل يتطلب منه أن يواجه ماضيه، أن يتصالح مع خياله، وأن يكتشف معنى وجوده الحقيقي.

في لحظة غامضة، بين صوت الرياح وهمسات المدينة، بدأ الشعور بالضياع يتسرب إليه كما يتسلل الضوء الخافت عبر نافذة مهجورة. لم يكن وحده، كان هناك شيء يراقبه من بعيد، شيء ليس له شكل ولا ملامح واضحة، لكنه كان موجودًا، يتحرك بين الظلال بحذر. كان قلبه

ينبض بقوة، لكن الهدوء الذي يحيط به جعله يشعر بأن كل شيء ممكن، وكل شيء مجهول.

"في كل قصة، هناك سرّ لا يُقال، وجزء من الحقيقة يُختبأ بين السطور."

سار بخطوات بطيئة في شارعٍ يبدو أنه لم يُرى من قبل، كل زاوية تحكي قصة، وكل نافذة تهمس باسم غائب. كان الهواء مشبعًا برائحة المطر القديم، ورائحة الكتب التي لم تُقرأ بعد، رائحة الذكريات التي تنتظر أن تُستعاد.

في هذه المدينة الغريبة، حيث تتشابك الأزمنة وتختلط الأحلام باليقظة، ظهر له ظلٌ طويل، شخص لم يره من قبل، لكنه كان يعرفه من دون أن يعرف اسمه. كان ذلك الرجل يحمل بين يديه دفترًا قديمًا، غلافه ممزق وصفحاته صفراء، لكنه يحمل بداخلها كل ما يحتاج إلى معرفته.

اقترب الرجل منه وقال بصوت كأنه صدى بعيد:

"كلما تعمقت في البحث عن الحقيقة، تجد نفسك تغوص في بحر من الألغاز."

رفع الدفتر ببطء، وفتح صفحة كانت مغطاة بخطوط مكتوبة بخط اليد، لكن الكلمات لم تكن مفهومة، كانت كأنها لغة سرية، لغة لم تُكتشف بعد.

"اللغة ليست فقط كلمات تُقال، بل هي طيف من المشاعر التي لا يمكن ترجمتها."

تأمل الدفتر، وحاول أن يفك شفرة تلك الرموز الغريبة، لكن سرعان ما أدرك أن هذا الدفتر ليس مجرد كتاب، بل هو مرآة لروحه، لذكرياته، لأحلامه التي لم تُولد بعد.

"كل قصة تُكتب ليست إلا انعكاسًا لروح الكاتب، ونبض قلبه."

بينما كان يغوص في تلك الصفحات، بدأ يسمع أصواتًا، همسات تتسلل إلى أذنيه، تهمس باسمه، تدعوه إلى الاستمرار، إلى عدم التراجع. في تلك اللحظة، شعر بأنه محاصر بين عالمين، بين ما هو معروف وما هو مجهول، بين ما يريد أن يراه وما لا يريد أن يراه.

توقف لحظة، ثم نظر حوله، المدينة بدت وكأنها تتنفس، كل نافذة كانت تلمع بضوء خافت، وكل شارع يحكي حكاية منسية. كانت الأصوات تعلو تدريجيًا، أصوات ضحكات، همسات، وحتى دموع لم تُذرف بعد.

"الأماكن لا تكون فقط ما نراه، بل ما نشعر به، وما نتذكره."

تقدم خطواته نحو زقاق ضيق، حيث وجد نفسه أمام باب خشبي قديم، مغطى بالكتابات والرسومات الغامضة. دفع الباب ببطء، وداخل الغرفة، وجد غرفة مليئة بالكتب، وكل كتاب يحمل عنوانًا لا يفهمه.

كان هناك صوت يردد في رأسه:

"كل كتاب هو بوابة إلى عالم آخر."

جلس بين تلك الكتب، وبدأ يقرأ قصة تلو الأخرى، كل قصة كانت تأخذه في رحلة عبر الزمن، عبر الحياة، عبر مشاعر لم يعشها. كانت الكتب تتحدث عن أشخاص فقدوا أنفسهم، عن أحلام تحطمت، وعن أمل لم يمت.

"في نهاية كل قصة، هناك بداية جديدة."

لم يشعر بالزمن وهو يغوص في تلك الحكايات، لكنه كان يعرف أنه لا يمكنه البقاء هناك إلى الأبد. هناك شيء ينتظره في الخارج، شيء لا يستطيع تجاهله.

قام من مكانه، وأخذ معه دفترًا صغيرًا كان موجودًا على الطاولة، بدأ يكتب فيه أفكاره، مشاعره، وأسئلته. الكلمات انسابت كالنهر، بعضها

كان واضحًا، وبعضها الآخر كان مبهمًا، لكنه كان يعلم أن كل كلمة تكتبها تقربه أكثر من الحقيقة.

"الكتابة ليست فقط نقلًا للكلمات، بل خلق لعالم جديد."

خرج من الغرفة، ووجد نفسه في شارعٍ مختلف، شارعٍ ينبض بالحياة، مليء بالألوان والروائح والأصوات. كان يشعر بأنه بدأ يفهم، لكنه كان يعرف أن الرحلة لم تنتهِ بعد.

"في كل نهاية، هناك بداية... وفي كل بداية، هناك قصة لم تُروى بعد."

كانت نوڤيلا تلوح له من بعيد، تبتسم كما لو كانت تعلم سرًا لا يستطيع هو إدراكه بعد.

اقترب منها، وقال بصوت خافت:

"هل سأجد يومًا ما الحقيقة التي أبحث عنها؟"

نظرت إليه بعينيها اللامعتين وقالت:

"الحقيقة ليست هدفًا، بل رحلة... رحلة لا تنتهي."

لم يكن يدري متى توقف الزمن أو بدأ يتغير. لحظة واحدة كانت تملأه بالأسئلة، واللحظة التالية تضعه على حافة اكتشاف جديد. العالم من حوله بدأ يتحول ببطء، كما لو أن الأشياء القديمة تنهار لتفسح المجال لجمال غريب لا يمكن وصفه.

كانت نوڤيلا تتجول معه، صامتة أحيانًا، وتهتف في أحيان أخرى بصوت خافت لا يسمعه إلا هو. كان كل لقاء معها مثل مفتاح لأبواب مغلقة في ذاكرته، وفي قلبه. ولكن كلما اقترب، كلما شعرت الحقيقة بأنها تبتعد أكثر.

"لا تبحث عن الإجابات في الخارج، فغالبًا ما تكون في أعماقك."

كانت المدينة نفسها تتنفس، تتغير وتتبدل، وكل شارع كان يحمل سرًا جديدًا. كانت الأشجار تتمايل بطريقة تشبه الموسيقى، والسماء تلونت بألوان لم يرها من قبل، وكأن الكون كله يدعوه ليغوص في أعماقه.

لم يكن الأمر فقط رحلة بحث عن ماضيه، بل رحلة لفهم نفسه، فهم ذلك الصوت الخافت الذي يرن في داخله، ذلك الصوت الذي يقول له دائمًا:

"أنت أكثر مما تعرف."

توقف أمام نافذة مطلة على المدينة، حيث تتداخل الأضواء مع ظلال الشوارع، ورأى انعكاسه فيها. لم يكن يعرف ذلك الوجه تمامًا، لكنه شعر بأنه لم يعد غريبًا عنه. كان هناك شيء مألوف، شيء لم يُفسر بعد.

"الانعكاسات ليست مجرد صورة، بل جزء من روحنا التي لا نراها."

أغمض عينيه للحظة، وشعر بأن العالم كله يختفي، ثم يعود إلى الظهور، لكنه كان مختلفًا. كان يشعر بثقل الذكريات التي لم تكن ملكه، وألم الناس الذين لم يلتق بهم. كان يحس بأن حياته ليست فقط قصة واحدة، بل آلاف القصص المتشابكة.

اقتربت نوڤيلا وقالت بصوتها الرقيق:

"كل إنسان يحمل في داخله آلاف القصص، بعضها تُروى، وبعضها يُنسى."

ابتسم وهو ينظر إليها، وكأنها المفتاح لكل هذا اللغز.

"وماذا عن قصتي؟ هل هي فقط واحدة من هذه القصص؟"

نظرت إليه بعمق، ثم همست:

"قصتك لم تُكتب بعد، وأنت بيدك أن تكتبها."

بدأ يسير معها عبر أزقة المدينة، حيث تملأ الأصوات الموسيقى الحية، والضحكات التي تختلط بالهمسات الغامضة. كان يشعر بأنه جزء من شيء أكبر، شيء لا يمكنه حتى أن يصفه بالكلمات.

"في بعض الأحيان، يكون الضياع هو بداية العثور."

مرّ بجانب مقهى صغير، حيث جلس رجل مسن يقرأ صحيفة قديمة. نظر إليه فجأة وقال:

"الحياة ليست سوى صفحة في كتاب، والكتب لا تنتهي أبدًا."

تابع الرجل كلامه وهو يبتسم بحكمة:

"لكن الأهم هو ما تكتبه أنت على هذه الصفحة."

توقف للحظة ليفكر في هذه الكلمات، ثم تابع السير مع نوڤيلا، التي كانت تبدو وكأنها تعرف كل أسرار هذا العالم، لكنها تختار أن تحتفظ بها لنفسها.

"المعرفة ليست أن تعرف كل شيء، بل أن تعرف متى تسأل."

في تلك اللحظة، شعر بأن هاتفه يرن، لكنه لم يكن هناك اتصال. بدلاً من ذلك، ظهرت رسالة على الشاشة، كلماتها لم تكن واضحة، لكنها حملت إحساسًا غريبًا بالدفء والخوف في آنٍ واحد.

"هل أنت مستعد لأن ترى ما لا يُرى؟"

رفع نظره إلى نوڤيلا، التي كانت تبتسم بابتسامة غامضة، وكأنها تقول له إن الرحلة الحقيقية بدأت الآن.

"الرحلات الحقيقية تبدأ عندما تتوقف عن السؤال عن الطريق."

تقدموا معًا نحو الظلام، حيث كانت الأضواء الخافتة تضيء لهم الطريق، ولكن كل خطوة كانت تقربهم من شيء لا يمكنهم التنبؤ به.

كانت الأسئلة تزداد، وكانت الإجابات تختفي تدريجيًا، لكنهما استمرا في السير، لأن هناك شيئًا بداخلهما يقول لهما:

"لا تتوقفوا... الحقيقة أقرب مما تتخيلون."

"بعض الأبواب لا تُفتح بالمفاتيح، بل بالذكريات."

مرت الليالي ولم يشعر بتغيرها، وكأن الزمن قرر أن يتوقف عند حضورها، أو ربما يعيد نفسه بشكل آخر، بشكل لا يمكن إدراكه. كان كل شيء

مألوفًا، لكنه مختلف. الشوارع التي يعرفها منذ الطفولة صارت تحمل صدى خطى لم يمشها من قبل، والمباني بدت كأنها تحتفظ بأصوات لم تُنطق.

نوڤيلا كانت تسير دائمًا بخطى ثابتة، لا تنظر خلفها، ولا تتردد، وكأنها تعرف وجهتها جيدًا، بينما هو، كان يتعثر في الأسئلة. ما الذي تريده منه؟ ولماذا الآن؟ ولماذا يشعر بأن حياته كلها أعيدت كتابتها في اللحظة التي التقاها فيها؟

"من قال إننا نملك حياتنا؟ الحياة تختارنا، ثم تبدأ في التشكّل كما تشاء."

جلس على أحد المقاعد المهجورة في محطة القطار القديمة. كانت رائحة الخشب القديم والحديد الصدئ تعبق بالمكان، تثير داخله شيئًا لا اسم له، لكنه قريب من الحنين، أو الخوف، أو الاثنين معًا. نوڤيلا وقفت بجانبه، نظرت إلى السكك الحديدية وقالت بهدوء:

"كل محطة ليست نهاية، بل احتمال آخر للبداية."

حدّق فيها، يحاول أن يقرأ ما وراء عينيها، ذلك العمق الذي يبتلعه كلما اقترب منها. لم تكن تنتمي لهذا المكان، ولا لأي مكان، كانت كأنها

طيف يمشي في عالم ملموس، دون أن يترك أثرًا مرئيًا، لكنه يغير كل شيء.

"في كل مرة تفتح فيها عينيك، تظن أنك ترى الحقيقة. لكنها غالبًا مجرد صورة من ذاكرة شخص آخر."

أراد أن يسألها من هي، من تكون حقًا، لكنه خاف من الإجابة. أحيانًا، الحقيقة تكون أثقل من قدرتنا على الفهم.

في تلك اللحظة، بدأت السماء تمطر. لم تكن مطرًا عاديًا. كانت القطرات تسقط ببطء غريب، كأن الزمن تباطأ ليمنحهما فرصة للفهم. الهواء امتلأ برائحة الأرض المبللة، والصمت كان كثيفًا حتى أن دقات قلبه بدت وكأنها تدوي في الفراغ.

"المطر لا يسقط فقط ليبلل الأرض، بل ليغسل الأرواح أيضًا."

مدّت يدها والتقطت قطرة في كفها، ثم نظرت إليه:

"هل تريد أن تتذكر؟"

فهم حينها، أنها لم تأتِ لتضيف شيئًا لحياته. بل لتعيد تشكيل ما نُسي فيها. كانت تحمل الماضي، وربما المستقبل، وتحاول أن تزرعه بداخله من جديد.

"أنا لا أملك أجوبة،" قال لها، "لكن أملك رغبة أن أفهم."

ابتسمت، وربتت على كتفه:

"أحيانًا، الرغبة في الفهم أهم من الفهم نفسه."

استيقظ صباح اليوم التالي ليجد نفسه في غرفة لم يدخلها من قبل. الجدران بيضاء ناصعة، ولا نوافذ فيها. على الطاولة كان هناك دفتر، وقلم، وساعة قديمة توقفت عند الرابعة فجرًا.

فتح الدفتر ليجد أول صفحة مكتوب فيها بخط يده:

"كل شيء بدأ عند الرابعة، عندما توقف الزمن لأول مرة."

ارتجف. لم يكتب ذلك، أو على الأقل لا يتذكر أنه فعله.

"هل نحن من نكتب قصتنا، أم تُكتب لنا منذ البداية؟"

في الزاوية المقابلة من الغرفة، رأى مرآة. اقترب منها ببطء، وعندما نظر فيها، لم يرَ انعكاسه فقط. رأى غرفًا أخرى، أماكن لا يعرفها، أناسًا لم يقابلهم، وأصواتًا تهمس بلغات غريبة.

ورأى نوڤيلا.

لكنها لم تكن واقفة في الغرفة. كانت في المرآة فقط. تبتسم له، وتضع إصبعها على شفتيها، وكأنها تقول:

"لا تخبر أحدًا... هذه قصتك الآن."

ركض نحو المرآة، لكن ما إن لمسها حتى اختفى كل شيء. وعاد إلى الغرفة. هذه المرة كانت الساعة تعمل. الخامسة تمامًا.

في كل ليلة بعدها، كان يحلم بمكان مختلف، لكنه يشعر أنه عاش فيه من قبل. كأن نوڤيلا فتحت بوابة داخلية لعوالم لم يزرها، لكنها سكنته منذ زمن بعيد.

وفي كل حلم، كانت تظهر له وتقول:

"لا تخف من ما تجهله... فربما هو الحقيقة التي نسيتها."

في اليوم العاشر، جلس في المكتبة القديمة التي هُجرت منذ أعوام. كانت الكتب مغطاة بالغبار، والهواء مشبع برائحة الورق المحترق. وجد كتابًا دون عنوان، فتحه ليجد صفحة واحدة فقط مكتوبة:

"حين تظن أنك تفهم، كن مستعدًا لفقدان كل شيء."

وما إن قرأها، حتى شعر بالدوار، وسقط أرضًا. عندما فتح عينيه، كانت هي بجانبه.

قالت بهدوء:

"لقد اخترت أن تعرف، والاختيار له ثمن."

"وما هو؟"

"أن تصبح جزءًا مما لا يُفهم."

في كل زاوية، بدأت الأشياء تتغير. الناس يبتسمون له بطريقة غريبة، وكأنهم يعرفونه من قبل. الصور على الجدران تتبدل. الأصوات تتكرر. حتى اسمه بدأ يختفي من الأوراق والبطاقات. وكأن العالم كله يعيد تشكيل هويته.

"هل فقدت نفسي؟" سألها.

فأجابته:

"أنت فقط عدت إلى الأصل."

وفي تلك الليلة، حلم بأنه يكتب. كان يكتب قصة اسمها "نوڤيلا"، لكن الكلمات لم تكن تخرج منه، بل كانت تُكتب وحدها، وهو فقط يشاهد. وعندما وصل إلى السطر الأخير، توقفت الأحرف فجأة، وظهرت جملة واحدة فقط:

"النهاية... هي فقط بداية أخرى."

"أحيانًا، لا نحتاج إلى الحقيقة... فقط إلى حكاية نصدقها أكثر."

استيقظ وهو يلهث، العَرق يبلّل جبهته، والقلب يدق كأن الزمن يطارده. الغرفة التي نام فيها لم تكن الغرفة التي استيقظ بها. كل شيء كان نظيفًا، مرتبًا، أكثر ترتيبًا مما يجب. لا غبار، لا صوت، لا حياة. لكنه لم يكن وحده. كان هناك شيء... حضور غير مرئي، ثقيل، يراقبه.

أحسّ بأن الجدران تنظر إليه. ليس مجازًا، بل حقيقة. الجدران تراقب، تهمس، تحفظ. خُيّل إليه أنه يسمع اسمه يُنطق بين تشققات الطلاء القديم.

وقف أمام المرآة. انعكاسه بدا مختلفًا. هناك شيء ناقص. شيء لم يعد له. لم يعرف ما هو، لكنه شعر بفراغٍ داخلي لا تفسير له.

"الهوية لا تُفقد دفعة واحدة... بل تُنسى على مراحل."

فتح النافذة ليتأكد أنه ما يزال في العالم. فوجد المدينة مغطاة بضباب كثيف. أصوات السيارات خافتة، كأن المدينة نائمة أو تتنفس بهدوء مريب. نزل إلى الشارع. الشوارع كانت خالية، الوجوه قليلة، والمارة يمرون كأنهم يعرفون إلى أين يذهبون بالضبط... عكسه تمامًا.

ثم رآها. نوڤيلا، واقفة أمام مكتبة مغلقة. تلبس معطفًا أسود طويل، وشعرها متناثر بفوضى منظمة. نظرت إليه وابتسمت كمن يعرف نتيجة النهاية قبل أن تبدأ القصة.

"كيف وصلتِ هنا؟"

"أنا لم أذهب يومًا."

اقترب منها، كمن يقترب من ضوء في ظلام دامس.

"هل أنا أحلم؟"

هزّت رأسها:

"أنت تستيقظ فقط."

"لماذا أنا؟"

"لأنك كتبتني... في الحلم الأول."

صمت. قلبه يدق، ليس من الخوف، بل من يقين غامض، مؤلم، كأنه يعرف أنها على حق، رغم أنه لا يتذكر شيئًا.

"كل من يكتب، يخلق بوابة. والبوابات تظل مفتوحة لمن يجرؤ أن يعبرها."

سألها:

"وإن كنت لا أتذكر؟"

ردّت بصوت أقرب إلى النبض منه إلى الكلام:

"النسيان ليس إنكارًا، بل حماية."

في اليوم التالي، وجد نفسه واقفًا أمام باب قديم، لم يرَه من قبل. لم يكن يحمل مفتاحًا، لكنه شعر بأنه يعرف ما وراءه. وضع يده على المقبض، ففتح الباب بسهولة. ودخل.

المكان كان غرفة واسعة، مليئة بصور قديمة له، لكنه لم يتذكر أي واحدة منها. صور بوجوهه المختلفة، بملابس لا يعرفها، في أماكن لم يزرها. وعلى كل صورة، كانت ملاحظة صغيرة مكتوبة بخط دقيق:

"محاولة رقم 3"

"محاولة رقم 11"

"محاولة رقم 27: قريب من الحقيقة لكنه خاف."

"محاولة رقم 42: اكتشفني... فاختفى."

التفت خلفه، فوجدها تقف هناك، نوڤيلا.

قالت:

"كل مرة تكتب فيها، تقترب. وكل مرة تقترب فيها، تتشقق القصة أكثر."

سألها وهو يحدّق في الصور:

"هل هذه حياتي؟"

"هذه نسخك... الحقيقية ما زالت تبحث عن نفسها."

شعر بدوار. جلس على الأرض، يغطي وجهه بكفيه.

"أنا أضيع."

"لا، أنت تُكشف. هذه ليست نهاية... بل بداية الخروج من القصة."

في المساء، جلس على السرير في شقة لا تشبه شقته، بيد مرتجفة أمسك دفترًا جديدًا، كتب فيه فقط:

"كل مرة أفتح فيها هذا الدفتر، أجد نفسي أقرب من النهاية... التي تبدو دائمًا كبداية."

ثم توقف.

كان هناك شيء ما في الغرفة. إحساس بوجود لم يُدعَ. رفع عينيه نحو الزاوية، فرآها... واقفة هناك. لم تكن نوڤيلا. كانت تشبهها، لكن عينيها سوداوان بالكامل.

نظرت إليه وهمست:

"أنت لم تكتبني... أنت حررتني."

لم يعد يفرق بين الأحلام والواقع. كل شيء اندمج. كل لحظة تحمل احتمال أن تكون ذكرى أو خيال أو نبوءة.

وفي كل مرة يظن أنه وجد الحقيقة، تظهر له نوڤيلا وتقول:

"ليست الحقيقة ما نبحث عنه... بل الصدى."

"في القصص، هناك أبطال. في الواقع، هناك ناجون."

جلس على ضفة النهر، يراقب المياه وهي تنساب بصمت. رائحة الطين، صوت الماء، وهروب الطيور... كل شيء بدا طبيعيًا جدًا، حتى ظهرت من خلفه وجلسَت بجانبه.

قال لها:

"هل كنتِ هنا دائمًا؟"

"أنا أكون دائمًا حيث لا تُقال الأشياء."

"أنا لم أعد أفهم شيئًا."

"ربما... حان وقت الكتابة."

ناولته دفترًا أبيض. لا خطوط فيه، لا تاريخ، لا غلاف حتى. فقط صفحات تنتظر.

سألها:

"هل أكتب ما حدث؟"

"اكتب لتحدث."

"وماذا بعد أن أكتب؟"

"حينها... ستصبح أنت القصة."

"كل نهاية تُكتب، تخلق بداية في مكان آخر."

كانت هذه الجملة آخر ما كتبه قبل أن تختفي نوڤيلا.

لا أحد رآها منذ ذلك اليوم. ولا أحد تذكرها. حتى هو... لم يعد يعرف إن كانت حلمًا، فتاة، خيالًا، أم انعكاسًا لما لم يجرؤ أن يراه داخله.

لكن في كل مرة يفتح كتابًا، أو يقرأ قصة، أو يكتب جملة، يشعر بأن هناك عينًا تراقبه من بعيد.

ربما هي.

ربما هو.

وربما... القصة ما زالت تُكتب.

"كل مرة نظن أننا اقتربنا من الفهم... نكتشف أننا فقط دخلنا أعمق."

مرت أيام دون أن يرى وجهها. لم يظهر طيفها في المرايا، ولا سمع وقع خطواتها في الممرات الضيقة. لكنه كان يعلم أنها لم تختفِ، بل فقط غيّرت طريقة وجودها. صارت تسكن بين السطور، تظهر في زلات القلم، في الصمت الذي يسبق الأفكار، في ذلك الشعور بأن أحدهم يراقبك بينما لا يوجد أحد.

كان الدفتر الذي تركته له، فارغًا في أول الأمر. كلما حاول الكتابة، محا الحبر نفسه. وكلما أعاد، تشقّقت الصفحات أو تحوّلت إلى رماد خفيف يتطاير دون أن يحترق. حتى جاء اليوم الذي كتب فيه دون وعي. أصابعه تتحرك وحدها، وعيناه تقرآن ما يكتبه كأنه يراه للمرة الأولى.

"في المحاولة رقم 64، لم يعد هناك واقع."

بدأ النص هكذا. بلا عنوان، بلا اسم، فقط سرد يتلو نفسه، كلمات تنبع من مكانٍ لا يعرفه، كأن القلم يتذكّر عنه.

"في هذا العالم، الأشياء لا تُخلق... بل تتكرّر."

لم يكن يعرف ماذا يعني ذلك، لكنه تابع الكتابة. لم يستطع التوقف. كل جملة تجرّه لما بعدها، كل كلمة تفتح بابًا كان موصدًا داخله. وعند منتصف الصفحة، حدث شيء غريب.

اختفت يده.

مجرد لحظة. لحظة لم يجد فيها يده التي تكتب. كأنها ذابت في الورق، صارت جزءًا منه، أو أن الورق هو الذي ابتلعها. رمش بعينيه، وتنفّس بعنف. اليد عادت. لكن الخط تغير. لم يعد خطّه.

كان خطها.

ونظرت إليه من آخر الصفحة، من كلمة واحدة كُتبت أسفل كل شيء:

"انتهيتَ... الآن دوري."

"الذين لا يكتبون... لا يختفون، فقط لا يُلاحظ اختفاؤهم."

تغيرت الأشياء من حوله. الغرفة، الجدران، الأثاث. صار كل شيء مألوفًا وغريبًا في آن. لم تعد الأماكن التي يعرفها كما كانت. المقاهي التي اعتاد

الجلوس فيها، صارت تعجّ بأناس لا يرفعون أعينهم عن دفاتر مفتوحة. الحوارات انقرضت، والاستماع صار نادرًا.

الكل يكتب.

كأن العالم قد استيقظ على نداء لا يُسمع، لكن الجميع استجاب له. وكأن نوڤيلا لم تكن مجرد فتاة أو فكرة، بل عدوى تنتشر بالوعي.

سأل صديقًا قديمًا:

"هل تذكرها؟"

فقال له:

"مَن؟"

"نوڤيلا."

ابتسم الصديق، لكن عينيه كانتا خاليتين من أي إدراك.

"أظنك تحلم كثيرًا هذه الأيام."

ولم يرد. لأنه فهم. من يتوقف عن تذكّرها... لا يعود نفسه.

في الحلم التالي، لم تكن واقفة. كانت جالسة، تكتب على جدار مغطى بالرماد.

اقترب منها، ورأى الجمل التي تنقشها:

"ليس كل من فقد طريقه ضائعًا... بعضهم فقط لم يعد يرغب بالعودة."

"حين تبدأ في التساؤل عن وجودك، فاعلم أنك دخلت قصتك الخاصة."

"الذاكرة أكبر كذبة جماعية اخترعناها لنُخفي الحقيقة."

كانت كل جملة تُشبهها، تفتح داخل صدره شعورًا لا يمكن تسميته. خوف؟ حنين؟ شك؟ ربما كلهم.

قال لها وهو يقف خلفها:

"أنا لا أفهم بعد."

فأجابت دون أن تلتفت:

"إذن... أنت على الطريق الصحيح."

"بعض الحكايات تُروى لتُنسى... وأخرى تُروى لتبقى عالقة في روحك، تنخرها بهدوء حتى تصير أنتَ الحكاية."

لم يعد يخرج من البيت كثيرًا. الدفتر صار يطالبه بالكتابة كل مساء. كأن هناك وقتًا محددًا يُفتح فيه الباب، وإذا لم يكن جاهزًا، يُغلق عليه كل شيء. كانت الصفحات تظهر تلقائيًا، يكتبها دون نية، دون تخطيط، ويكتشف أنها تكشف أجزاءً منه لم يكن يعرف بوجودها.

وفي إحدى الصفحات، وجد شيئًا لم يكتبه.

صورة.

ليست مرسومة، بل مطبوعة بطريقة غامضة على الورق. صورة قديمة له، يقف في حقل مهجور، أمامه فتاة بعينين لا تُنسى. لم تكن صورتها واضحة، لكن الظلال حولها كانت تنحني نحوها، كأنها مركز الثقل.

أسفل الصورة، بخط رقيق:

"التُقطت قبل أن تُكتب."

تجمّد.

"كيف يمكن أن تسبق الصورة الكتابة؟"

قالها لنفسه، ولم يجد ردًا.

في المرة التالية التي حلم بها، لم تكن وحدها.

كانت تقف وسط دائرة من الناس. عيونهم مغلقة، وأيديهم متشابكة، وهي تهمس في أذن كل واحدٍ منهم بجملة واحدة لا يسمعها غيره. اقترب منها، فتوقفت عن الهمس، وفتحت عينيها عليه.

"الآن... بدأنا."

"كل من قابلها، فقد شيئًا. كل من كتبها، ضاع. وكل من أحبها... اختفى من الورق."

لم يكن يعرف إلى أين تسير القصة، لكنه لم يكن قادرًا على التوقف. كل محاولة للهروب كانت تقوده أكثر إلى الداخل. حتى اللحظات العادية، كاحتساء القهوة أو النظر للسماء، لم تعد محايدة. كانت محمّلة بشعور أن كل شيء إشارة، وكل صدفة مخططة مسبقًا.

وكلما كتب، اختفت أشياء من حياته.

في يوم ما، نسي اسم والدته. ثم نسي أين وُلد. وبعدها، لم يعد يتعرف على وجهه في المرآة.

لكنه لم يكن خائفًا.

كان يشعر أن كل نسيان... كشف. أن كل شيء يُمحى من ذاكرته، يُستبدل بجزءٍ منها.

نوڤيلا.

"الحقيقة الوحيدة الثابتة... أننا نكتب لنتذكّر أننا كنا هنا."

وقف أمام جدار فارغ، وبدأ يرسم بأصابعه كلمات غير مرئية. لم يكن هناك حبر، ولا لون. فقط آثار من روحه. الجدار امتصها، وصار ينبض. وفي لحظة غير متوقعة، انشقّ جزء صغير منه، وخرجت منه يد.

يدها.

أمسك بها. كانت دافئة، حقيقية. سحبها إليه، ووقفت أمامه. لم تتكلم. فقط وضعت يدها على قلبه، وقالت:

"حان وقت النهاية."

"نهاية ماذا؟"

"القصة التي لم تعرف يومًا أنك بطلها."

ثم اختفت.

استفاق على صراخ الورق. كل الصفحات التي كتبها، تتفحم، تذوب، تختفي. حاول إنقاذها، لكنها كانت تذوب من داخله، لا من الخارج.

في الصفحة الأخيرة، بقيت جملة واحدة:

"لك أن تختار... أن تُكمل أو أن تختفي."

"أحيانًا، لا نبحث عن الحقيقة... بل عن مَن يرافقنا في وهمنا."

لم يختفِ كما وعدت... ولم يكتمل كما توهّم. بقي معلقًا بين لحظة الكتابة الأخيرة، وبين الورقة التي احترقت وظلّت آثار رمادها تسكن بين ضلوعه.

لم يعد يشعر بالزمن. الأيام تتكرر، لكنها لا تُشبه بعضها. الأصوات من حوله لم تعد تصدر من أفواه البشر، بل من الجدران، من حواف المرايا، من تنفّس الأوراق القديمة التي خزّنها على رفوف مكتبة لا يجرؤ على لمسها.

ومع كل فجر، كان يسمع صوتها داخله:

"القصص لا تنتهي... فقط تغيّر طريقة سردها."

في الليلة التالية، لم يحلم بها فقط... بل دخلها.

كان واقفًا في غرفة صغيرة، لا تحتوي على شيء سوى مرآة تتدلى من السقف بحبل طويل. حين نظر إليها، لم يرَ نفسه. رأى طفلًا. طفلًا يعرفه. كان هو، في السابعة من عمره، يجلس في ركن الغرفة، يرتجف، وعيناه تتوسلان دون صوت.

"أن تعيش بين السطور... يعني أن تُمحى بمجرد أن تُغلق الصفحة."

لا أحد يعلم كم من الوقت مرّ.

الساعة على الجدار لا تتحرك. الزمن هنا لا يُقاس بالدقائق، بل بعدد الأحلام التي تتكرر، وعدد الأبواب التي لا تُفتح، وعدد المرات التي تسمع فيها اسمك يُقال... دون أن يناديك أحد.

فتح عينيه فوجد نفسه داخل مكتبة مهجورة. لا أبواب، ولا نوافذ، فقط آلاف الكتب المفتوحة، تهمس جميعها في آنٍ واحد.

اقترب من أحد الرفوف. لمس كتابًا أسودًا، فارتعشت أصابعه. لم يكن غلافًا ورقيًا. كان جلدًا بشريًا. وعليه اسمه.

لم يفتحه. لم يجرؤ.

في تلك اللحظة، سمع صوتها:

"كل من كتبني... كتب نهايته أيضًا."

استدار. لم يرها، لكن رائحتها كانت هناك، تشبه المطر والغبار القديم. تشبه الكتب التي تقرؤك بدلًا من أن تقرأها.

سألها:

"متى بدأتِ؟"

فأجابت:

"منذ قررت أن تهرب من نفسك، ووجدتني."

جلس على الأرض، يقرأ كتابًا مفتوحًا على صفحة واحدة:

"لم أكن أبحث عن قصة... كنت أبحث عن مخرج."

ثم صفحة أخرى:

"لكن لا مخارج في الحكايات التي تكتبك."

ثم أخرى:

"كل باب في هذه المكتبة... هو بوابة إلى ذاكرة لم تعد تملكها."

وقف أمام مرآة مهشمة، ورأى ثلاثة انعكاسات له، كل منهم ينظر إليه بسؤال مختلف.

أحدهم:

"هل كنت سعيدًا حين بدأت؟"

الآخر:

"هل كنت تكتب لتفهم... أم لتنسى؟"

والثالث:

"هل كنت تكتب عن نوڤيلا... أم عنك؟"

ولم يُجب.

مرّ في الممرات بين الكتب، كل كتاب يهمس بجملة ناقصة.

"هي لم تكن هناك، لكنك كنت تراها في كل شيء."

"الظلال التي تحبها... تبتلعك في النهاية."

"كل من لمسها... اختفى جزء منه في الحبر."

توقف عند كتاب مغطى بالغبار، وعليه خيط واحد من الدم اليابس. فتحه، وقرأ:

"هنا بدأت. وهنا ستنتهي. لا خروج إلا عبرها."

وفجأة، انشق الحائط من أمامه، كأن الورق نفسه تحوّل إلى باب.

دخل.

وجد نفسه داخل مسرح قديم، الستائر مخملية، والأضواء خافتة، والجمهور مقاعده فارغة... إلا من ظلال لا ملامح لها.

وعلى الخشبة... كانت نوڤيلا.

ترتدي ثوبًا أبيض يشبه الرماد. شعرها يتدلّى كالسواد الس liquid. عيناها كأنهما تشربان الضوء.

قالت بصوت يسمعه في أعماقه لا أذنه:

"أهلاً بك في العرض الأخير."

جلس في أول مقعد دون أن يعي كيف تحرك.

بدأت المسرحية.

لم تكن تمثّل. كانت تعيد سرد حياته.

طفولته، وحدته، الكتابة التي بدأها في عمر العشر، الدفاتر التي مزقها، القصائد التي كتبها لشخص لا يعرفه، المرايا التي أغلقها، الصمت الذي ظلّ يكبر داخله.

ثم جاءت اللحظة.

اللحظة التي التقاها.

"نوڤيلا."

لكن العرض لم ينتهِ عند اللقاء. بل بدأ.

شاهد نفسه وهو يختفي ببطء، يتحول إلى ظلّ. وفي النهاية، لم يبقَ شيء.

سوى الكتاب.

وهي.

قالت وهي تنظر إليه:

"لقد انتهيت، لكنني بدأت بك."

وقف. اقترب منها. حاول أن يلمسها.

فاخترق يده هواء بارد، شبيه بلمسة الماضي.

قال:

"هل أنا حيّ؟"

فأجابت:

"أنت في السطر ما قبل الأخير."

خرج من المسرح، فوجد نفسه داخل غرفة بيضاء لا أبواب فيها، ولا نوافذ.

إلا جدار واحد، عليه عبارة مكتوبة بالدم:

"اكتب النهاية، إن كنت تجرؤ."

جلس على الأرض. شعر أن الورق ينمو من تحت جلده، وأن الحبر صار جزءًا من دمه.

أغمض عينيه.

وكتب داخله:

"نوڤيلا... لم تكن فتاة. كانت الكتابة ذاتها."

"لم أخلقها... بل خلقتني."

"كل ما عشناه... كان في رأسها، لا في حياتي."

ثم شعر بالألم. كأن شيئًا يُنتزع منه.

فتح عينيه.

فوجد نفسه يختفي من الورقة.

حرفًا بعد حرف.

"لا أحد ينجو من الحكاية التي كتبها بكاؤه."

وفي الصفحة الأخيرة، كتب أحدهم — لم يكن يعرفه — هذه الجملة:

"إن كنت تقرأ الآن... فاعلم أنك دخلت الرواية."

ثم تبعتها جملة:

"ومن يدخل... لا يخرج."

"أحيانًا، لا تُكتب النهاية بالحبر... بل بالصمت."

في لحظةٍ لم يعرف فيها من يكون، لم يبق شيء ثابتًا. الأرض التي يقف عليها لم تعد صلبة، الجدران تتحول إلى كلمات، والهواء من حوله يهمس بما لم يُقال.

فتح عينيه على بياض مطلق.

لا ظل. لا صوت. لا زمن.

كان وحده... أو هكذا اعتقد.

ثم سمعها، صوتها أتى من داخله هذه المرة:

"الذين يكتبوننا، لا يعرفون أنهم يختفون."

التفت حوله، باحثًا عن شيء يعرفه. شيء يعيده إلى العالم الذي جاء منه. لكنه لم يجد سوى مرآة واحدة، معلّقة في الفراغ، تعكس صورة لم يعرفها.

رأى نفسه... لكن ليس كما اعتاد.

شخصٌ بعينين منهكتين، كتفاه مثقلتان بالكلمات، فمه مغلق منذ سنوات. يده ترتجف، كأنها تعبت من الكتابة، أو من محو نفسه في كل سطر.

مدّ إصبعه نحو الانعكاس، فانشقّ الزجاج... وسقط.

سقط في حكاية أخرى.

المدينة كانت غريبة. الناس يمشون بلا وجوه. لا أحد يتكلم. لا أحد ينظر. كلّهم يحملون دفاتر مفتوحة، يكتبون فيها أثناء المشي، دون توقف.

اقترب من فتاة تجلس عند زاوية الرصيف. كانت تكتب بسرعة جنونية. الدموع تنزل من عينيها ولا تمسّ الورق. سألها:

"ماذا تكتبين؟"

فقالت دون أن ترفع رأسها:

"أكتبني... كي لا أنتهي."

قال:

"وهل تنجحين؟"

أجابت:

"أحيانًا. لكن عندما أتوقف... يبتلعني البياض."

واصل السير. المدينة بلا ماضٍ، بلا مستقبل. فقط حكايات مستمرة. وجد مقهى صغيرًا، بلا نادل، بلا زبائن، فقط طاولة واحدة.

وعليها كانت تجلس... نوڤيلا.

ترتدي قميصًا أبيض مغطى بنصوص ممزقة، وفي يدها ساعة بلا عقارب.

قالت له:

"هل عرفت الآن؟ كل ما كتبتَه... كنتَ تكتبه عنك."

جلس أمامها. لم يحاول لمسها. اكتفى بالنظر.

"أين أنا؟" سأل.

فقالت:

"أنت داخل الورقة التي مزقتها."

"لكنني لم—"

قاطعته:

"كل من كتب النهاية، اختُبر بالبدء من جديد."

سألها:

"من أنتِ؟"

فقالت:

"أنا كل ما لم تكتبه. كل السطور التي خفت منها. كل الشخصيات التي قتلتها قبل أن تنضج. كل الاعترافات التي محوتها من دفاترك. كل العيون التي لم ترسمها... لأنك خفت من البوح."

ثم وضعت يدها على قلبه.

"وأنا الندبة هناك. التي ظننتَ أنها شفاء."

في تلك اللحظة، تغير المقهى.

تحوّل إلى قطار. العجلات تسير فوق حروفٍ ضخمة، والنافذة تُظهر مشاهد من حياته، كما لو كانت شاشة:

أول مرة قرأ فيها قصيدة وبكى.

المرة التي خذله فيها أقرب الناس إليه، وكتب عنهم بدلًا من أن يواجههم.

تلك الليلة التي أطفأ فيها النور، وترك دفتره مفتوحًا على جملة لم يُكملها.

كل شيء كان يعود.

القطار توقف.

نوڤيلا نزلت أولًا.

قالت دون أن تنظر:

"هذا آخر سطر يمكنك الهرب فيه."

ثم اختفت.

ظلّ واقفًا أمام الباب، والريح تلسع وجهه.

خطا خطوة واحدة خارج العربة... فوجد نفسه داخل غرفة طفولته.

كل شيء كما تركه: الدمية الممزقة، الخزانة الصامتة، الجدار الذي كتب عليه ذات يوم "أنا خائف"، ومحو الجملة بعد ساعة.

على الطاولة... كان هناك دفتر لم يره منذ سنوات.

فتحه، فوجد صفحة مكتوب فيها بخط يده:

"نوڤيلا ليست فتاة. بل هي أنا، حين لم أكن مستعدًا لمواجهة نفسي."

أغلق الدفتر.

وسمع صوت الباب يُفتح خلفه.

دخل طفل صغير. يشبهه. لكنه كان يحمل بيده صفحة مقطوعة.

قال له الطفل:

"نسيت هذه."

فتحها، فوجد عليها جملة واحدة:

"إن لم تكتب النهاية، ستظل حبيس البداية."

في اللحظة التالية، وجد نفسه في مقبرة.

كل شاهد قبر... يحمل اسم شخصية كتبها.

"ياسمين — ماتت قبل أن تعترف بحبها"

"صالح — لم يُفهم يومًا"

"مريم — لم تُمنح حق النهاية"

وبين القبور... شاهد قبر يحمل اسمه.

اقترب.

لم تكن هناك تواريخ.

فقط جملة:

"هنا يرقد الكاتب... الذي نسي نفسه داخل إحدى الشخصيات."

لم يعد خائفًا.

مدّ يده، وكتب على شاهد قبره:

"لكنني خرجت. وسأكتب الآن ما لم أكتبه من قبل."

وفي اللحظة التي رفع فيها رأسه، كانت نوڤيلا واقفة هناك، تبتسم للمرة الأولى.

قالت له:

"النجاة ليست في الخروج... بل في الاعتراف."

اقترب منها. قال بصوت واهن:

"أنا خائف."

فأجابته:

"الكتابة الحقيقية... تبدأ من هنا."

وفتح عينيه في غرفته.

كانت الساعة الثالثة فجرًا.

الدفتر أمامه، الصفحة البيضاء تنتظره.

أمسك القلم، وكتب:

"نوڤيلا... لم تكن حلمًا. كانت نداءً. والآن فقط... فهمت."

وابتسم.

"كل سطر هو مرآة. وكل مرآة... تكسر شيئًا فيك."

"ما لم تكتبه... سيكتبك."

لم يكن يتوقّع أن تكتب يده من تلقاء نفسها. لم يكن يُمسك القلم... بل كان القلم يُمسكه.

الكلمات كانت تتدفق من داخله، لا يعرف من أين تأتي، لكنها لا تتوقف. كأنه لم يكن حيًا قبل هذه اللحظة. كأن حياته كلها كانت استعدادًا لهذه الليلة.

في منتصف السطر، توقفت يده.

ظهرت على الورقة كلمة غريبة... لم يكتبها بنفسه:

"مُراقَب."

ارتجف.

رفع نظره... فرأى نافذته مفتوحة على اتساعها، رغم أنه كان قد أغلقها.

الهواء لا يتحرك. الليل ساكن. لكن هناك شيء في الغرفة لم يكن موجودًا من قبل.

كانت هناك صورة صغيرة موضوعة على طاولته.

لم تكن له.

امرأة. واقفة وسط عاصفة ثلجية. عيناها مغلقتان، ووجهها مغطى بشيء كُتب عليه:

"من كتبتك، لن تنساك."

بحث عنها في كل مكان.

عاد إلى الصور القديمة، دفاتره، رسائله، صوته المُسجل على الأشرطة. عاد إلى كل ما ظن أنه نساه.

في كل مكان، كان يرى أثارها.

رسم غير مكتمل في دفتر المدرسة.

ورقة قديمة كتب فيها "سأقابلها يومًا ما".

حلم دوّنه في عمر السادسة، قال فيه: "أنا أطير، وهناك فتاة تدلني على الطريق."

أعاد ترتيب الأشياء. وعرف شيئًا لم يفهمه من قبل:

نوڤيلا لم تكن شخصية في قصة... كانت القصة نفسها.

خرج إلى الشارع.

كانت المدينة نائمة، لكنه لم يكن وحده هذه المرة.

كلما مرّ بمكان، تنبعث منه همسات، جُمل كان قد كتبها ذات مرة، أو قرأها، أو خاف منها.

"من يخاف من النهاية، لا يستحق البداية."

"من تحاول نسيانها... هي التي تذكّرك."

"أحيانًا، يُولد الكاتب من موت شخصيته."

توقّف أمام المكتبة القديمة التي أغلقوها منذ سنوات. دخل دون أن يعرف كيف.

ووجدها هناك.

نوڤيلا.

جالسة وسط كتب مفتوحة، تُدوّن على صفحاتها بمداد لا يُرى.

قالت دون أن ترفع رأسها:

"أتعرف لماذا عدت؟"

قال بصوت مُتحشرج:

"لأنني نسيتك."

قالت:

"بل لأنك أخيرًا... تذكّرتني."

اقترب منها. كانت لا تزال كما هي، رغم مرور كل هذه الحيوات.

جلس أمامها، وسأل:

"من كتبك؟"

نظرت إليه نظرة طويلة، وقالت:

"أنت... قبل أن تعرف الكتابة."

بدأت المكتبة تنهار.

الكتب تسقط من الرفوف. الأصوات تتعالى. النوافذ تتحطم. الزمن ينهار من حوله كلوحة زيتية ذائبة.

أمسك يدها. سألها:

"هل النهاية الآن؟"

قالت:

"بل البداية... أخيرًا."

واستيقظ.

لكنه لم يكن في غرفته هذه المرة.

كان في سرير بمشفى.

أطباء. ممرضون. أجهزة تنبض بإيقاع غريب.

جاء أحدهم، قال:

"أخيرًا فقت."

"متى كنت هنا؟"

"منذ ثلاث سنوات. في غيبوبة."

"غيبوبة؟"

"حادث. كنا نظن أنك لن تستيقظ."

ثلاث سنوات؟ كيف؟ وماذا عن...

قال:

"أين دفتر ملاحظاتي؟"

بحثوا. لم يجدوه.

"هل كنتَ تكتب قبل الحادث؟" سأل الطبيب.

قال:

"نعم. كنت أكتب عنها."

"عن من؟"

صمت.

ثم ابتسم.

وقال:

"عن من جعلتني أكتب... لأعيش."

مرت الأيام. عاد إلى الحياة ببطء.

لكن شيئًا لم يعد كما كان.

كان يرى الأشياء من زاوية أخرى.

يرى الظلال أكثر من الأجسام.

يسمع الصمت أكثر من الأصوات.

كل شيء صار معلقًا بسؤال واحد:

"هل كانت نوڤيلا حقيقية؟ أم أنا الذي صنعتها؟"

وفي أحد الأيام، جاءه طرد بالبريد.

دون اسم مرسل.

فتح العلبة.

وجد فيها دفترًا قديما، عليه اسمه... وعبارة مكتوبة بخطٍ لم يعرفه:

"انتهِ منها... أو ستنتهي بك."

فتح الصفحة الأولى.

فوجدها بيضاء... سوى من جملة واحدة في المنتصف:

"نوڤيلا لم تكن حلمًا... كانت تذكرة عبور."

استدار نحو النافذة.

في الشارع المقابل... فتاة تقف وسط الزحام.

تبتسم.

ترتدي معطفًا رماديًا... وتحمل في يدها دفترًا.

ورفع يده نحوها.

فأومأت برأسها كأنها تقول:

"مرحبًا بك من جديد."

"القصص لا تنتهي... فقط تعود بأسماء أخرى."

"أحيانًا، الحقيقة ليست ما نعرفه... بل ما نتوقف عن إنكاره."

ظلَّ يراقبها من النافذة، لا يصدق أنها موجودة فعلًا. هل هي التي رأى صورتها في أحلامه؟ هل هذه التي قادته الكلمات إليها؟ أم أنه لا يزال داخل الورقة... لم يخرج منها بعد؟

"نوڤيلا" لم تبتعد، كانت تقف في الزاوية، تراقبه كما لو أنها تنتظر اللحظة المناسبة ليبدأ. لم تتكلم، لم تلوح، لم تعطِ أي إشارة، فقط وجودها كان كافيًا ليوقظ كل ما كان نائمًا في أعماقه.

نزل من بيته كمن يقفز في هوة بلا قاع.

خرج للشوارع، وكل شيء فيها بدا له غريبًا... أو مألوفًا بشكل مرعب. السيارات، الوجوه، حتى أصوات العصافير. كل شيء يردد جملة واحدة لا يسمعها أحد سواه:

"اكتبها... أو ستُمحى."

اقترب منها.

لكن عندما وصل إلى المكان الذي كانت فيه... لم يجدها.

لم يجد إلا دفترًا صغيرًا، وُضع بعناية فوق كشك الجرائد المهجور.

فتحه، فوجد سطرًا واحدًا:

"أنا لستُ هنا... أنا في السطر التالي."

قضى أيامه التالية يكتب بجنون.

لا يأكل، لا ينام، لا يتكلم مع أحد.

الدفتر كان كأنه حي، يتنفس، ينبض، يملي عليه ما يكتب. كلما كتب صفحة، تغير الواقع من حوله.

كتب عن مبنى سيسقط... فسقط في اليوم التالي.

كتب عن فتاة ستبكي في الحديقة... فرآها تجلس هناك، بنفس الثوب الذي وصفه.

كتب عن نفسه... فاختفى من صور العائلة.

قال في إحدى الصفحات:

"الكتابة لا تخلق العالم... بل تفضحه."

أصبحت الأيام مشوشة. لا يعرف أين يبدأ الحلم، وأين ينتهي الواقع. كل شيء يتداخل، كأنه يعيش على حافة بين الورقة واليقظة.

في أحد الأيام، دخلت عليه جارته العجوز لتطمئن عليه.

قالت:

"أين كنت؟ لم نرك منذ أسابيع."

قال وهو يقلب صفحات دفتره:

"كنت أبحث عنها."

قالت:

"عن من؟"

فنظر إليها بحدة، وقال:

"أنتِ تعرفينها."

اهتزت شفتيها، ثم نظرت حولها، وأغلقت الباب.

قالت بهمس:

"أنت كتبتها... لكنك لم تكتب نهاية لها."

في اليوم التالي، عاد ليجد بيته مقلوبًا.

الكتب متناثرة. الدفاتر محترقة. أوراقه ممزقة.

لكن الشيء الوحيد الذي لم يُمس، كان الدفتر الأسود. مغلق. نظيف. وكأن لا شيء مسّه.

فتحه.

فوجد أول صفحة كتبتها نوڤيلا، بخطها القديم، حين التقيا للمرة الأولى في المكتبة:

"أنا لا أختفي... أنا أعود بصيغة أخرى."

مرت عليه لحظة فهم فيها الحقيقة.

نوڤيلا لم تكن فتاة.

كانت الكتابة نفسها.

هي التي تلاحقه لأنه لم يُنهِها.

هي التي تعود كلما حاول نسيانها.

هي الحلم، والظل، والانهيار، والميلاد.

هي كل شخصية بدأها ولم يُكملها.

كل قصة كتبها ثم مزقها.

كل فكرة خاف منها.

كل سطر توقف عنده خوفًا من النهاية.

وقف أمام المرآة.

رأى انعكاسه.

ثم رأى خلفه.

كانت هي هناك.

لا تبتسم.

لا تتكلم.

فقط تنظر.

ثم رفعت يدها... وأشارت إلى قلبه.

وقال صوت في داخله:

"إما أن تُكملني... أو أن أكملك."

ومن تلك الليلة، لم يعد أحد يراه.

لكن دفاتر جديدة ظهرت في أركان المكتبة القديمة.

مليئة بكلمات لم يُعرف من كتبها.

كأن شخصًا ما... لم يتوقف أبدًا عن الكتابة.

وكان أول سطر في أول دفتر هو:

"أنا نوڤيلا. لا تسأل من أنا... فقط اقرأ."

"نحن لا نختار من نكتبهم... هم الذين يختارون الظهور في سطورنا."

الدفاتر التي تركها لم تكن مجرد صفحات مكتوبة، بل كانت أبوابًا. كل دفتر يحمل عنوانًا مختلفًا، لكن المحتوى لا يكتمل. كأن كل دفتر يتحدث عن امرأة واحدة بأوجه مختلفة. امرأة تُشبه "نوڤيلا"، لكنها ليست هي.

في أحد الدفاتر، كانت تُدعى "سارة" وتعيش في مدينة لا تعرف النوم.

في دفتر آخر، كانت "ليلى" وتتكلم مع الطيور.

وفي ثالث، كانت "مريم" التي تتذكر أحلام الآخرين بدلًا من أحلامها.

لكن كل واحدة منهن، كانت تنظر من الصفحة الأخيرة بنفس العينين. نفس النظرة التي تشق الروح نصفين، وتقول بلا صوت:

"لستِ أنا... لكني كنتُ جزءًا منها."

في الليلة الثالثة والعشرين منذ اختفائه، دخل شاب إلى المكتبة بحثًا عن كتاب. كان غريبًا بعض الشيء، يحمل دفترًا فارغًا وقلمًا دون غطاء. وعندما سأل صاحب المكتبة عن شيء "غير موجود على الرف"، قاده الرجل إلى زاوية مظلمة خلف الرفوف القديمة.

قال له:

"إن كنت تبحث عنها... لا تبحث."

رد الفتى: "من قال إنني أبحث عن أحد؟"

قال العجوز: "لأن كل من دخل وسأل هذا السؤال... انتهى به الأمر يكتبها."

نظر الشاب إلى الدفاتر المتراصة، وسحب واحدًا. ثم جلس على الأرض، وقرأ السطر الأول:

"تبدأ القصة عندما تعتقد أنها انتهت."

منذ تلك اللحظة، لم يخرج من المكتبة.

كان يكتب. ويكتب. ويكتب.

وفي كل مرة يغفو فيها للحظات، كانت تظهر له.

"نوڤيلا" تقف أمامه، لا تقترب، لا تبتعد.

تكتفي أن تكون هناك.

تشير إلى الورقة، ثم تختفي.

وفي إحدى الليالي، سمع صوتها بوضوح.

قالت:

"القصص لا تنتهي. فقط تختبئ في مكان لا يجده سوى من يؤمن بوجودها."

قرر أن يعيد ترتيب الفوضى.

أن يقرأ كل الدفاتر التي كُتبت.

أن يربط بين كل النساء، كل السطور، كل الجمل التي لم تُكمل.

وكان كل دفتر يحتوي على تفاصيل صغيرة جدًا، لا ينتبه لها القارئ العادي. لون الظلال، اسم قطة، تكرار رقْم ما، سطر مكتوب بالحبر الأحمر، أو إشارة على هامش الصفحة تقول:

"هذا ليس صدفة."

وعندما جمع كل الدفاتر ووضعها بجوار بعضها، ظهرت كلمة واحدة كبيرة كانت مبعثرة في العناوين:

"العودة."

قال لنفسه: "العودة إلى ماذا؟"

فجاءه الرد من دفتر لم يكن فتحه بعد.

على الصفحة الأولى، كُتب:

"عد إلى أول ما كتبت... أول ما حلمت... أول ما خفت."

فتش بين أوراقه القديمة.

وجد قصة كتبها وهو في العاشرة، عن فتاة تختفي من الواقع وتظهر داخل الكتب. كانت هذه القصة أول مرة يرى فيها الاسم:

"نوڤيلا."

بدأ يدرك أن كل ما حدث... كان تمهيدًا.

أن نوڤيلا ليست كيانًا حقيقيًا فقط، بل فكرة قديمة جدًا، عاشت بداخله منذ الطفولة، وتغذت على كل كلمة كتبها، وكل كلمة محاها.

كانت تنمو في الظل، تنتظر اللحظة التي يعود فيها إليها.

وفي الليلة التالية، كتب السطر الأخير:

"سأكملكِ... حتى لو كلفني ذلك نفسي."

استيقظ في مكان غريب.

لا ضوء.

لا صوت.

فقط ورق يتطاير حوله.

كانت الصفحات بيضاء... ثم بدأت تمتلئ بكلمات لم يكتبها بعد.

ورأى ظلًا يقترب.

هي.

"نوڤيلا" كانت تمشي فوق الكلمات، لا تلمس الأرض.

اقتربت منه، وهمست:

"أخيرًا كتبتني كما أنا."

قال بصوت مختنق:

"هل انتهيت؟"

قالت:

"لا... لقد بدأت."

ومنذ تلك الليلة، أصبح كل من يقرأ دفاتر المكتبة، يشعر بشيء غريب.

يتغيّر شيء في عينيه.

يتوه في أفكاره.

يكتب كلمات لم يقرأها من قبل.

ثم يترك دفتره خلفه.

وفي كل دفتر، يظهر سطر واحد، جديد، يكتبه القارئ بنفسه، دون وعي:

"رأيتها... لكن لا أعرف إن كانت حقيقية."

"نحن لا نخترع الحكايات... نحن فقط نستمع لها جيدًا."

"نوڤيلا" لم تكن تبحث عن نهاية، بل عن من يصدق أنها حقيقية بما يكفي لتُكتب.

وكل من صدّق... أصبح جزءًا منها.

قال رجل عجوز، يعمل الآن في المكتبة:

"إنها لا تظهر لمن يبحث، بل لمن يتذكّر."

وسأله صبي صغير:

"تتذكر ماذا؟"

فأجابه بابتسامة حزينة:

"أنه كان الكاتب... قبل أن يصبح القارئ."

"ليست كل الأبواب تحتاج إلى مفتاح... بعضها ينتظر من يتجرأ ويفتحه بصمته."

في تلك الليلة، لم تنم المدينة. كانت الرياح تمر بين الأزقة كأنها تبحث عن شيء، أو شخص، أو ذاكرة. والأنوار الخافتة على النوافذ لم تكن تطرد الظلمة، بل تعكسها، كأنها تهمس لكل من يراقب: ليس كل ما ترى حقيقياً.

على الطاولة، دفتر جديد وُضع دون أن يفتحه أحد.

لم يكن يحمل عنوانًا.

لكن الصفحة الأولى كُتب فيها:

"نقطة البداية ليست دائمًا في البداية."

في زاوية مقهى قديم، كانت تجلس فتاة صغيرة، لا تتعدى الرابعة عشرة. كانت تحدق في ورقة فارغة، وقلمها بين أصابعها يتحرك دون أن يلمس السطح. كانت ترسم شيئًا... في عقلها فقط.

وعندما سألتها صاحبة المقهى عما تفعل، أجابت:

"أكتب قصة عن فتاة لا يعرف أحد من أين جاءت... لكن الجميع يعتقد أنه يعرفها."

قالت المرأة ضاحكة: "وهل لها اسم؟"

ردت الفتاة دون تردد:

"نوڤيلا."

لم تكن تعرفها. ولم تسمع عنها من قبل. لكنها كانت تحلم بها.

كانت ترى فتاة تقف عند مفترق طرق. أربعة شوارع تمتد منها، وكل شارع يقود إلى مدينة لا تشبه الأخرى. وكانت الفتاة تنظر لكل طريق كأنها تعرف ما ينتظرها فيه... لكنها لا تختار.

تكتفي بالوقوف.

"لماذا لا تمشين؟" كانت تسألها الفتاة في الحلم.

فتبتسم "نوڤيلا" وتقول:

"أنا لا أمشي... أنا أُتبع."

كانت المدينة تتحول. الألوان تتلاشى، والأسماء تُمحى، والوجوه تتكرّر. كل شيء يشبه كل شيء. وكأن الحياة قررت أن تُعيد نفسها بلا مفاجآت.

لكنها — "نوڤيلا" — كانت الاستثناء.

كل مرة تظهر فيها، كانت تُحدث خللاً في التوازن. كأن وجودها كسر في نسيج الواقع، ثقب في القصة، فتحة صغيرة يتسرب منها السؤال:

"ماذا لو لم تكن هذه هي الحقيقة؟"

كان هناك رجل يدعى طارق، يعمل في أرشيف المدينة. وظيفته بسيطة: أن يحتفظ بكل ما يُكتب، ويصنفه، ويحفظه. لكنه بدأ يلاحظ شيئًا غريبًا: كل ليلة، عند مراجعة الملفات، يجد مستندًا لم يُكتب على يديه.

عنوانه دائمًا مختلف.

لكن التوقيع في نهايته واحد:

"نوڤيلا."

في أحد التقارير، كانت القصة عن شخص يُدعى "خالد"، رأى نفسه في صورة لم يُلتقطها يومًا، مع أشخاص لم يعرفهم أبدًا، لكنه كان يبتسم كأنه يعرفهم جيدًا.

وفي وثيقة أخرى، قصة عن مدرسة أطفال، يدخلها طفل لا أحد يعرف اسمه، ويغادرها بعد أسبوع، لكن كل الأطفال بعدها يرسمونه في كل لوحاتهم.

وفي وثيقة ثالثة، مجرد صفحة فارغة، إلا من سطر:

"أنا هنا... لكنك لا تنظر في الاتجاه الصحيح."

طارق لم يكن يؤمن بالخوارق. كان رجلًا علميًا، منطقيًا، يحفظ كل شيء، ويثق في كل قاعدة.

لكن بعد المرة السابعة التي يظهر فيها اسم "نوڤيلا" دون تفسير... بدأ يشك.

ذهب إلى مخزن الأرشيف القديم، حيث الأوراق المغبرة والملفات التي لم يلمسها أحد منذ سنوات.

وهناك، وجد دفترًا ملفوفًا بقماش أزرق باهت.

وعندما فتحه، كانت الصفحة الأولى كُتب فيها:

"عندما تظن أنك القارئ... تكون أنت المكتوب."

جلس طارق أمام الدفتر. قلبه يدق كأن ثمة من يراقبه من خلف الجدران. وبدأ يقرأ.

كل سطر كان يتحدث عنه.

عن طفولته.

عن مراهقته.

عن حادثته التي لم يخبر بها أحد.

عن الفتاة التي أحبها ولم يعترف.

عن خوفه من النهايات.

كان الدفتر يعرفه أكثر مما يعرف نفسه.

وفي النهاية، كان هناك توقيع:

"نوڤيلا – ١٥ سنة"

ارتجف.

كيف لفتاة بهذا العمر أن تكتب حياته كاملة؟

من هي؟

ولماذا تفعل هذا؟

عاد إلى بيته في تلك الليلة، ليجد باب شقته مفتوحًا. لم يكن هناك أثر لأي سرقة. فقط دفتر موضوع على سريره، عليه ورقة كُتب فيها بخط صغير:

"إن أردت أن تعرفني... اكتبني."

جلس على الطاولة، وبدأ يكتب.

لم يكن يعرف من أين يبدأ. فقط كتب أول ما خطر بباله:

"كنت أعتقد أنني حُر... حتى عرفت أنني شخصية في قصة أحدهم."

ومنذ ذلك اليوم، لم يُرَ طارق مجددًا.

لكن كل يوم، في تمام التاسعة مساء، يظهر دفتر جديد في أرشيف المدينة... يحمل اسمه، لكن التوقيع في نهايته لا يتغير:

"نوڤيلا."

"أحيانًا، تكون القصة أقوى من أن تُحكى... فتختار أن تُعاش."

قالت إحدى الفتيات، وهي تقلب دفترها في المكتبة:

"لقد كتبتُ عنها حلمًا رأيته، لكنها كتبت النهاية دون أن أقرر."

فردت عليها صديقتها:

"هل أنتِ متأكدة أنك من كتب الحلم؟"

كانت هناك لعبة قديمة تُلعب في المدينة، لم يعد أحد يجرؤ على ذكرها.

اسمها: "من كتب من؟"

تبدأ اللعبة بأن تكتب اسمك في أول الصفحة... ثم تترك الصفحة التالية فارغة، وتضع الدفتر تحت وسادتك.

وفي الصباح، تجد سطرًا كُتب:

"أراك."

وفي الليلة التالية، تُكتب تفاصيل يومك كاملة... قبل أن تعيشه.

والليلة الثالثة، تُكتب النهاية.

ومن يقرأ النهاية... لا يُكمل اليوم الرابع.

ولهذا، اختفت اللعبة. أو هكذا ظنّ الناس.

لكن هناك من لا يستطيع التوقف عن الكتابة.

ومن لا يستطيع التوقف... يكتبها.

يكتب "نوڤيلا".

لأنها ليست اسمًا.

وليست شخصًا.

هي اللحظة التي تخرج فيها القصة عن السيطرة... وتصبح أنت جزءًا منها.

"من يقرأ النهاية قبل أن يعيشها... يصبح حبرًا في دفتر شخصٍ آخر."

بدأت الأصوات تتغيّر في المدينة.

الناس يتكلمون وكأن الكلمات ليست كلماتهم، الأطفال يرددون جملًا غريبة في أثناء اللعب، والعيون التي تنظر إليك لا تبدو كأنها ترى فقط، بل كأنها تبحث... وتكتب.

في أحد الفصول الدراسية، وقف المعلم أمام طلابه وسأل:

"من منكم يعرف ماذا يعني أن تكون قصة؟"

لم يرفع أحد يده.

لكن فتاة في الصف الأخير همست:

"يعني أن تُروى دون إذن."

كانت ترتدي سترة رمادية، وشعرها الطويل يغطي نصف وجهها. لم تكن تتكلم كثيرًا، لكن الجميع شعر أنها تعرف أكثر مما تقول.

اقترب المعلم وسألها بلطف:

"ما اسمك؟"

رفعت عينيها إليه، وقالت دون تردد:

"سؤال خاطئ، أستاذ. كان عليك أن تسأل: مَن كتبني؟"

"نوڤيلا" لم تكن تظهر كأشباح، ولم تختفِ كالأساطير. كانت تعيش بين الناس، تتنفس معهم، تمشي في الشوارع، تقف في محطات المترو، تجلس على الكراسي الحجرية في الحدائق. لكنك لا تراها إلا إذا كنت مستعدًا.

و إن رأيتها... لا تعود كما كنت.

كانت "يمنى" صحفية في بداية مشوارها. حادة الذكاء، منطقية، لا تؤمن إلا بالحقائق الموثقة. كل شيء عندها قابل للتفسير.

إلى أن وصلتها رسالة دون توقيع.

مجرد جملة واحدة:

"أنتِ تكتبين الحقيقة... لكنك لا تعيشينها."

تجاهلت الرسالة في البداية، لكنها بدأت تكرر الظهور. مرة في بريدها، مرة في درج مكتبها، مرة داخل كتاب في مكتبة عامة لم تدخلها من قبل. الجملة ذاتها.

وفي كل مرة، كانت تنظر حولها، وتجد فتاة لا تعرفها تحدق فيها للحظة... ثم تختفي وسط الزحام.

في مساء بارد، وجدت "يمنى" دفترًا موضوعًا أمام باب شقتها. لم يكن مغلقًا. وعليه بطاقة صغيرة كتب فيها:

"القصة التي ترفضين تصديقها... هي قصتك."

فتحت الدفتر.

فوجدت سطرًا أول:

"يمنى ستفتح الدفتر في تمام التاسعة، وتقرأ عن نفسها أشياء لم تقلها لأحد."

نظرت إلى الساعة. كانت التاسعة تمامًا.

وتجمد قلبها.

كانت الصفحات التالية كأنها نسخ من ذاكرتها. تفصيلية، دقيقة، تصف أفكارها، شكوكها، وخوفها من أن تصبح شيئًا لا تفهمه. وفي الصفحة الأخيرة، رسم بسيط بالقلم الرصاص... لوجه فتاة لم تره يومًا.

لكنه مألوف بشكل مخيف.

وتحته مكتوب:

"أنا ظل الحكاية، وجدتُك لأنك كتبتيني دون أن تدري."

"يمنى" لم تعد إلى عملها بعد تلك الليلة. لم يجب أحد على اتصالاتها. ويقال إن آخر ما كتبته في دفترها كان:

"لم أعد أبحث عن الحقيقة... بل عن مَن يكتبها."

"أحيانًا، لا تكون ضائعًا... بل مكتوبًا في صفحة لا يريد أحد أن يقرأها."

في إحدى المستشفيات، كان الدكتور "عدنان" يجري دراسة عن تأثير الهلوسات على الوعي. التقى عشرات المرضى، وكل حالة كانت مزيجًا من الخوف والتكرار... إلا واحدة.

فتاة عمرها سبعة عشر عامًا.

لا تعاني من شيء عضوي.

لكنها تتحدث وكأنها تراقب الجميع من مكان أعلى.

قالت له ذات مرة:

"أنتم تعالجون الخوف... وأنا أعيش فيه."

سألها عن اسمها.

فقالت بابتسامة غامضة:

"أنا الهامش الذي يتحول إلى عنوان."

كانت ترسم دوائر متشابكة على الورق، ثم تسود منتصفها.

"ما هذا؟" سألها الطبيب.

قالت:

"النهاية عندما تكتمل القصة دون أن تُفهم."

في إحدى الجلسات، سألها إن كانت تعرف "نوڤيلا".

فتجمدت لوهلة.

ثم نظرت إليه قائلة:

"أنا وهي لم نلتقِ... لأننا واحدة."

بعد تلك الجلسة، اختفى تقرير الحالة. ولم تُسجّل أي بيانات باسم الفتاة.

لكن الدكتور "عدنان" وجد دفتر ملاحظاته ممزقًا إلى نصفين، والنصف المتبقي عليه جملة واحدة:

"من يتتبع الخيال، يُمحى من الواقع."

"نوڤيلا" لم تكن تحكي عن نفسها.

بل كانت تكتب الآخرين كما تراهم... أو كما يخافون أن يكونوا.

في أحد الأحياء القديمة، افتُتحت مكتبة صغيرة بلا لافتة. يدخلها البعض صدفة، ويخرجون منها دون كتب... لكن بوجوه مختلفة.

كان الرجل العجوز خلف الطاولة يسأل كل من يدخل:

"أي نوعٍ من الحقيقة تبحث عنه؟"

فإن أجاب، سلّمه دفترًا، ويقول:

"اقرأ نفسك... لا تبحث عنها."

وفي إحدى الزوايا، جلس فتى شاحب الوجه، يقرأ في دفتر دون أن يرفع رأسه.

اقتربت منه فتاة وسألته: "ما الذي تقرأه؟"

قال بصوت هامس:

"أقرأ نهايتي... لكني لم أبدأ بعد."

ذات يوم، اختفت المكتبة.

لا أحد يتذكر موقعها بالضبط. ولا أحد يعرف مَن كان فيها.

لكن كل من زارها... كتب سطرًا واحدًا في دفتره بعد ذلك:

"أنا لم أعش حياتي... بل قرأتها."

"نوڤيلا" ليست مجرد اسم، ولا فتاة.

هي تجسيد للقصص التي لا تنتهي، للذكريات التي لم تُعش بعد، للأحلام التي تبدأ عند الاستيقاظ.

هي كل سطر لم يُكتب بعد... وكل خوف يُخفيه الكاتب بين الحروف.

وفي النهاية، يظهر الدفتر.

في يدك.

فارغًا... إلا من جملة واحدة:

"الآن... جاء دورك."

"في النهاية، لا أحد يكتب القصة... القصة تكتبنا جميعًا."

كان كل شيء ساكنًا كما لو أن العالم توقف لحظة ليُصغي. الشوارع لم تتغير، لكن الوقت صار أثقل. الوجوه ذاتها، لكن النظرات تحمل شيئًا إضافيًا. شيئًا غريبًا. كأن الجميع مرّ بـ"نوڤيلا" ذات يوم، ولم يلاحظ.

الدفاتر امتلأت. وكل صفحة فيها كانت انعكاسًا مختلفًا لنفس الحكاية... حكاية لم تبدأ عند أول سطر، ولن تنتهي عند الأخير.

في الزاوية الأخيرة من المدينة، جلس الفتى الذي نسي اسمه، وأمامه دفتر مفتوح على صفحة بيضاء. حمل القلم، وتردّد، ثم كتب:

"في كل مرة أظن أنني أكتب قصتي، أكتشف أنني كنت أقرأها فقط."

أغلق الدفتر، ونظر إلى المرآة. لكنها لم تعكسه.

بل عكست فتاة كانت تنظر إليه من بعيد.

شعر أنه يعرفها.

لا يتذكر من أين.

لكنها نظرت إليه بنفس نظرة البداية.

تقدّم خطوة، وقال:

"هل أنتِ نوڤيلا؟"

لم تجب.

اقترب منها أكثر، وقال:

"لماذا اخترتيني؟"

رفعت يدها ببطء، وأشارت إلى قلبه.

ثم قالت أخيرًا:

"أنا لم أكتبك. أنت من سمح لي أن أعيش."

في اليوم التالي، اختفى الفتى.

ترك خلفه دفترًا واحدًا، مكتوب عليه:

"الحقيقة؟ أنني لست بطل الرواية."

وفي الصفحة الأخيرة، بخط صغير:

"كل قارئ... هو الصفحة التالية."

أغلقت "نوڤيلا" الدفتر الأخير. نظرت إلى السماء، وابتسمت.

ثم مشت إلى الداخل، دون أن يراها أحد.

واختفت.

لكن القصص بدأت تظهر في كل مكان بعدها. قصص بلا مؤلف. دفاتر بلا أسماء. جُمل تظهر فجأة في رسائل الغرباء.

ومرّة واحدة، فقط مرّة...

سمع أحدهم صوتًا في نومه يقول:

"حين تحاول أن تكتب النهاية... تبدأ أنت."

تنويه

جميع الشخصيات والأحداث الواردة في هذا العمل من وحي الخيال، وإن بدت مألوفة أو كأنها تعكس شيئًا من الواقع، فذلك لأن الخيال يعرف كيف يُخفي الحقيقة ببراعة.

هذه الرواية لم تُكتب لتُفهم بالكامل من القراءة الأولى،

بل لتبقى في ذاكرتك، تُلاحقك بأسئلتها،

وتترك في داخلك ذلك الإحساس...

بأن شيئًا ما، لم يُقال بعد.